إقامة الصلاة

وأسرارها

تأليف

الشيخ يوسف خطار محمد

خريج معهد الفتح الإسلامي

الإهداء

إلى المربي الكبير والمرشد الجليل وقدوتي إلى الله
عز وجل

العارف بالله شيخي وأستاذي وسيدي

عبد الحكيم عبد الباسط

رحمه الله تعالى

أقدم

هذا الكتاب

المؤلف

الشيخ

يوسف خطار محمد


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة :الأولى ١٩٩٨
دار البيروتي

مقدمة المؤلف

الحمد لله المنفرد بكبريائه ، المتفضل على أوليائه ، مجزل النعماء، وكاشف الغمّاء ، ومسبغ العطاء ، الذي رسم طريق المجد للمؤمنين ، ووضّح سبيل السعادة للعالمين ، وشرع لهم مبادئ الخير والإصلاح ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بكل شرف باسق ، الذي أنار الدنيا بعد الظلام الغاسق ، وعلى آله وصحبه سادة الأنام ، وحماة صرح الإسلام ، موضّحي حقائق الدين ، الذين خشعت قلوبهم لله ، وتمسكوا بحبل الفضيلة وكانوا ضياءً للعيون ، ونوراً للقلوب، فرضي الله عنهم ورضوا عنه وبعد : فإن أفضل ما تبحث فيه العقول ، ويعنى بجمعه وتصنيفه ما فيه صلاح الدارين معرفة إقامة الصلاة وأسرارها .

ولما كانت الصلاة أول العبادات وأعظم ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين وأول فرض فرضه الله تعالى على العباد كان لا بد من التأكيد على تأديتها ، وأن تكون هذه التأدية على الوجه الصحيح كما قال ﷺ : «صلوا كما رأيتموني أصلي ».[3] منعاً للندم يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وحتى لا يقال لنا: « ارجع فصلِّ فإنك لم تصل »[4] كما حدث لذلك الصحابي الذي قام يصلي، وحينما انتهى من صلاته نبهّه رسول الله ﷺ أن صلاته لم تكن صلاة لنقص فيها جعلها وكأنها ليست بصلاة « فإنك لم تصل » .

---

[3] أخرجه البخاري (٦٣١) ، والدارمي (١٢٢٥) .

[4] أخرجه البخاري (١٩٢/١و ٢٠٠) و (٦٨/٨ و ٦٩) وفي القراءة خلف الإمام (١١٣و١١٤و١١٥)، ومسلم (١٠/٢و١١) ، وأبو داوود (٨٥٦) ، والترمذي (٣٠٣) و (٢٦٩٢) والنسائي (١٢٤/٢) ، وابن ماجه (١٠٦٠)و(٣٦٩٥)وابن خزيمة (٤٥٤) و (٥٩٠) ، والبيهقي (٨٨/٢ و١١٧ و ١٢٦) ، والبغوي (٥٥٢) وابن حبان (١٨٩٠) .

والصلاة هي السبيل للحصول على سعادة الدارين ، وهي التي تصقل الفرد وتهذبه وتصلحه وهي كذلك تصلح الجماعة وتهذبها ، وتقضي على الفرقة التي سببها الكبرياء والأنانية والشح وما ذاك إلا لأن الجماعة مكوّنة من أفراد فإذا صلح الفرد صلح المجتمع .

والصلاة قرينة الصبر والزكاة فمن أقام الصلاة بحقها فإنها ستكسبه الصبر وتحثه على الزكاة ، وتدعوه إلى فضائل الأعمال وتنهاه عن قبيح الأفعال .

والصلاة تعطي قدرة للمصلي ليقوم في مواجهة الذنوب والأحداث كأنه بنيان مرصوص كما أشار إليه سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة[*] ﴾ .

والصلاة عبادة من العبادات التي يتقرب بها إلى الله عز وجل ، وكثيراً ما يسأل لماذا العبادة ؟ ولأي شيء شرعت ؟ وهل ربنا بحاجة إلى عبادتنا كي نعبده؟

فالسائل يتصور أن لله سبحانه في تكليفنا العبادة هدفاً شخصياً، وأن عباداتنا لتحقيق ذلك الهدف ، وهذا خطأ فادح .

فإن طاعتنا لا تنفع حضرته المقدسة كما أن عصياننا لا يضرها بل الهدف من العبادة التزكية والتربية للروح والنفس والمقصود منها إبراز القدرة الكامنة في الروح التي تنشأ من العبودية والغرض منها رفع الظلمات الداخلية من صفحة القلب وتنويره بالأنوار الملكوتية وتهيئة الروح لقبول التجليات الإلهية وإشراق نور العشق للحق تعالى ، وكثيراً من المصلين يصلون ولكن لا يدرون لماذا يصلون ؟ وماذا ينتفعون من الصلاة ؟ وماذا تصنع الصلاة بأرواحهم وأنفسهم ؟ وبعبارة أوضح حيث إنهم لا يدرون لماذا يصلون وهم عن المقصد

---

[*] سورة البقرة الآية (٤٥) .

الأصلي للصلاة غافلون، فلهذا لا ينتفعون بها ، وهذه العبادة العظيمة الجليلة إما أنها لا تؤثر في نفوسهم أصلاً أو أن أثرها إن كان فقليل غير محسوس ، فيبدؤون بالصلاة مع الغفلة ويختمونها بالغفلة ومن المعلوم أن الصلاة بهذه الصفة لا تكون منورة للقلب ولا مقوية للروح ولذا نرى أنفسنا أننا بعد ما صلينا سنين لا ننتهي عن الفحشاء والمنكر ، مع أن القرآن ينص بأن الصلاة تنهى عنهما ، ولا نقدر أن نكف أنفسنا عن معصية صغيرة ، فتبين أن صلاتنا ليست بصلاة حقيقية كاملة تامة .

قال تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر[٦] ﴾ . فما لم تَنْهَ فليست بصلاة كاملة بل لابد أن نقول : إنها صورة محضة تشبه الصلاة، ولأجل الجواب على هذه الأسئلة وجبران النواقص صنفت هذا الكتاب أتحدث فيه عن أسرار هذه العبادة وآدابها القلبية والمعنوية وكيف يكون المصلي ذا خلق حسن، وبينت فيه المعاني العظيمة الروحية في الصلاة وأسرار كل حركة من حركاتها وكذلك وضحت كيفية الوقوف بين يدي الله عز وجل وبينت الأسباب المؤدية للخشوع في الصلاة ووجوب معرفة كل مكلّف وكل رب عائلة مسلم لأسرار الصلاة والطريقة الموصلة إلى إقامتها على الوجه الأتم المطلوب منا شرعاً ودعوة إخوانه ومن حوله إلى ذلك وأمر أهلة بالصلاة والاصطبار عليها ، فقد قال الله تعالى ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾[٧] . فإن في الدعوة إلى الصلاة دعوة إلى الله عز وجل .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً يا أرحم الراحمين ، واجعلنا من مقيمي الصلاة واجعل اللهم عملي هذا خالصاً لوجهك الكريم وتقبله مني يوم العرض عليك بقبول حسن يوم نلقاك وأنت راضٍ عنا وأسأل الله تعميم النفع به .

والحمد لله رب العالمين

---

[٦] سورة العنكبوت الآية ٤٥.

[٧] سورة طه الآية ١٣٢ .

تاريخ مشروعية الصلاة :

الصلاة من العبادات القديمة في مشروعيتها ، فقد قال الله تعالى على لسان سيدنا إسماعيل عليه السلام :

﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا﴾[٨] .

فقد عرفتها الحنيفية التي بعث بها سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وعرفها أتباع سيدنا موسى عليه السلام . وقال تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً﴾ [٩] .

وعندما بُعث سيدنا محمد ﷺ ، كان يصلي ركعتين كل صباح ، ويصلي ركعتين كل مساء ، قيل : وهما المقصودتان بقوله تعالى خطاباً لنبيّه ﷺ :

﴿ وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾[١٠] .

دليل مشروعية الصلاة :

ثبتت مشروعية الصلاة بآيات كثيرة من كتاب الله ، وبأحاديث كثيرة من سنة رسول الله ﷺ ، **فمن القرآن الكريم قوله تعالى :**

﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾ [١١] .

قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما : أراد بقوله حين تمسون صلاة المغرب والعشاء ، وحين تصبحون صلاة الصبح ، وعشياً صلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر . وقوله تعالى :

---

(٨) سورة مريم الآية ٥٥ .
(٩) سورة مريم الآية ٣١ .
(١٠) سورة غافر الآية ٥٥ .
(١١) سورة الروم الآية ١٧-١٨ .

﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾[١٢]

أي محتمة ومؤقتة بأوقات مخصوصة .

ومن السنة قوله ﷺ لسيدنا معاذ عندما بعثه إلى اليمن: « ادعهم إلى شهادة أن لاإله إلا الله ، وأن محمد رسول الله . فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة »[١٣] .

وقوله ﷺ للأعرابي الذي سأله عما يجب عليه من الصلاة : « خمس صلوات في اليوم والليلة . قال الأعرابي : هل عليَّ غيرها ؟ قال : لا إلا أن تطوَّع »[١٤] .

مكانة الصلاة في الدين :

الصلاة أفضل العبادات البدنية على الإطلاق ، فقد جاء رجل يسأل النبي ﷺ عن أفضل الأعمال **فقال له** :

« الصلاة » قال : ثم مَهْ ؟ قال : « ثم الصلاة » قال : ثم مَهْ ؟ قال : « ثم الصلاة » ثلاث مرات[١٥]

وقد ثبت في الصحيحين أن الصلاتين يؤديهما المسلم أداءً سليماً تكونان كفارة لما بينهما من الذنوب . فعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال

---

[١٢] سورة النساء الآية ١٠٣

[١٣] أخرجه البخاري (٢/١٣٠ و ١٤٧ و ١٥٨) و (٣/١٦٩) و (٥/٢٠٥) و (٩/١٤٠) ، ومسلم (١/١٣٧ و ١٣٨) ، وأبو داود (١٥٨٤) ، والترمذي (٦٢٥) و (٢٠١٤) ، والنسائي (٥/٢ و ٥٥) وابن ماجه (١٧٨٣) ، وابن خزيمة (٢٢٧٥) و (٢٣٤٦) ، وأحمد (١/٢٣٣) والدارمي (١٦٢٢) و(١٦٣٨) .

[١٤] أخرجه البخاري (١/١٨) و (٣/٢٣٠و٢٣٥) و (٩/٢٩) ، ومسلم (١/٣١و٣٢) وأبو داود (٣٩١) و(٣٩٢) و (٣٢٥٢) ، والنسائي (١/٢٢٦) و (٤/١٢٠) و (٨/١١٨) ، وابن خزيمة (٣٠٦) ومالك (١٢٦) ، وأحمد (١/١٦٢) والدارمي (١٥٨٦) .

[١٥] أخرجه أحمد (٢/١٧٢) ، وابن حبان (١٧٢٢) وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/٣٠١)

رسول الله ﷺ : « . . . فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا »[١٦] .

وعن سيدنا عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أتمَّ الوضوء كما أمره الله تعالى ، فالصلوات المكتوبات كفارات لما بينهن »[١٧]

كما أن التهاون في الصلاة تأخيراً وتركاً من شأنه أن يؤدي بصاحبه إن هو استمرَّ على ذلك إلى الكفر إذاً فالصلاة هي الغذاء الأول للإيمان كما قد علمت. وعن السيدة أم أيمن رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تترك الصلاة متعمداً فإنه من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله ورسوله»[١٨]

حكمة الصلاة :

للصلاة حكم وأسرار كثيرة نلخصها فيما يلي :

أولاً : أن يتنبه الإنسان إلى هويته الحقيقية ، وهي أنه عبد مملوك لله عز وجل ، ثم أن يظل متذكراً لها ، بحيث كلما أنسته مشاغل الدنيا ، وعلاقاته بالآخرين هذه الحقيقة ، جاءت الصلاة فذكرته من جديد بأنه عبد مملوك لله عز وجل .

ثانياً : أن يستقر في نفس الإنسان أنه لا يوجد معين ومنعم حقيقي إلا الله عز وجل وإن كان يرى في الدنيا وسائط وأسباباً كثيرة تبدو ـ في الظاهر ـ

---

[١٦] هو عجز حديث أوله : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم . . .» أخرجه البخاري (١/١٤٠) ومسلم (١٣١/٢) والترمذي (٢٨٦٨) ، والنسائي (١/٢٣٠) ، وأحمد (٣٧٩/٢) والدرامي (١١٨٧) وابن حبان (١٧٢٦) ، والبيهقي (٣٦١/١) وأبو عوانة (٢/٢٠) ، والبغوي (٣٤٢) .

[١٧] أخرجه مسلم (١٤٣/١) ، والنسائي (٩١/١) ، وابن ماجه (٤٥٩) ، وأحمد (٥٧/١ و ٦٦ و ٦٩) والبغوي) ، (١٥٤) والطيالسي (٧٥) وابن أبي شيبه (٧/١) .

[١٨] أخرجه أحمد (٤٢١/٦) وعبد بن حميد (١٥٩٤)

أنها هي التي تعين وتنعم ، ولكن الحقيقة أن الله عز وجل سخرها جميعاً للإنسان ، فكلما غفل الإنسان واسترسل مع الوسائط الدنيوية الظاهرة ، جاءت الصلاة تذكره بأن المسبب هو الله ، فهو وحده المعين ، والمنعم ، والضار، والنافع ، و المحيي ، والمميت .

ثالثاً : أن يتخذ الإنسان ساعة توبة ، يتوب فيها عما يكون قد اقترفه من الآثام ، إذ الإنسان معرض في ساعات يومه وليله لكثير من المعاصي التي قد يشعر بها وقد لا يشعر ، فتكون صلاته المتكررة بين الحين والآخر تطهيراً له من المعاصي والأوزار فعن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول اللهﷺ : «مثل الصلوات الخمس كمثلِ نهرٍ جارٍ غمْرٍ على باب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات »[١٩] قال سيدنا الحسن : وما يبقي ذلك من الدرن؟!.

(غمْرٍ) : كثير المياه ، (الدرن :) الوسخ ، والمراد هنا الدرن المعنوي وهو الذنوب ويدل على ذلك قوله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه «... فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا »[٢٠]

رابعاً : أن تكون غذاءً مستمراً لعقيدة الإيمان بالله تعالى في قلبه ، فإن ملهيات الدنيا ووساوس الشيطان من شأنها أن تنسي الإنسان هذه العقيدة ، وإن كانت مغروسة في قلبه ، فإن استمر في نسيانه بسبب انصرافه إلى ضجيج الأهواء والشهوات تحول النسيان إلى جحود وإنكار ، كالشجرة التي قطع عنها الماء، تذبل حيناً من الزمن ، ثم يتحول الذبول إلى موت ، وتتحول الشجرة إلى حطب يابس، ولكن المسلم إذا ما ثابر على الصلاة كانت غذاءً لإيمانه ، ولم تعد الدنيا وملهياتها قادرة على اضعاف الإيمان في قلبه أو إماتته[٢١]

---

[١٩] أخرجه مسلم (١٣٢/٢) ، واحمد (٣٠٥/٣) ، وعبد بن حميد (١٠١٤) ، والدارمي (١١٨٦).

[٢٠] تقدم تخريجه .

[٢١] الفقه المنهجي ، ص (٩٥ - ٩٧) .

فضيلة السجود :

قال سيدنا رسول الله ﷺ : « مامن مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة ، وحط عنه بها سيئة »[٢٢]

وقال ﷺ : « أقرب مَا يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء »[٢٣]. وقال الله تعالى:﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾[٢٤] ، يعني نور الخشوع ، فإنه يشرق من الباطن إلى الظاهر .

وجوب الخشوع :

قال الله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾[٢٥] . ظاهر الأمر الوجوب، والغفلة تضادّ الذكر ، فمن غفل في صلاته كيف يكون مقيماً لها لذكره تعالى ؟!

وقال سبحانه : ﴿ ولاتكن من الغافلين ﴾[٢٦] .

وقال تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾[٢٧] جعل أول مراتب الفلاح الخشوع في الصلاة ، وإعلاماً بأن من فقده فهو بمراحل عن الفوز والنجاح الذي هو معنى الفلاح .

قال صلى الله عليه وسلم : « الصلاة مثنى مثنى ، تشهُّدٌ في كلّ ركعتين، وتخشّعُ ، وتضرّعُ ، وتمسكنُ ، [وتذرّعُ] وتضعُ يديك ، يقول:

---

[٢٢] أخرجه أحمد (٥/٢٧٦ و ٢٨٣) والترمذي (٣٨٨) .

[٢٣] أخرجه مسلم (٢/٤٩) ، وأبوداود (٨٧٥) ، والنسائي (٢/٢٢٦) وأحمد (٢/٤٢١) .

[٢٤] سورة الفتح الآية (٢٩) .

[٢٥] سورة طه الآية (١٤) .

[٢٦] سورة الأعراف الآية (٢٥) ..

[٢٧] سورة المؤمنون الآية (١-٢) .

ترفعهما إلى ربك ، مستقبلاً ببطونهما وجهك ، وتقول : يارب يارب ، ومن لم يفعل ذلك فهو كذا وكذا »[٢٨] .

وروي : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد من الله إلا بعداً »[٢٩]

وقال صلى الله عليه وسلم : « . . . وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر »[٣٠]

وقد ورد في الأثر : : « ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها »[٣١]

وحكي عن الإمام مسلم بن يسار رحمه الله تعالى : أنه كان يصلي في مسجد البصرة ، فسقط جدار المسجد ، ففزع أهل السوق لهدته ، فما التفت ، ولما هنّئ بسلامته عجب وقال : ما شعرت بها .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (ركعتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساهٍ) .

وبالجملة فحضور القلب هو روح الصلاة ، ومن عرف سرّ الصلاة علم أن الغفلة تضادّها.

فضيلة المكتوبة :

قال تعالى : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ [٣٢] .

---

[٢٨] أخرجه الترمذي (٣٨٥) ، والنسائي في الكبرى (٥٢٨) و (١٣٤٩) ، وابن خزيمة (١٢١٣) ، وأحمد (٢١١/١) و (١٦٧/٤) .

[٢٩] أخرجه أحمد (٩٣٩٢) .

[٣٠] أخرجه الطبراني في الكبير (١١٠٢٥).

[٣١] ذكره الغزالي في الإحياء .

[٣٢] سورة النساء الآية (١٠٣)

وقال سيدنا النبي ﷺ : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة كفّارات لما بينهن ما لم تُغشَ الكبائر»[٣٣] .

وسئل الحبيب المصطفى ﷺ : أي الأعمال أفضل ؟ فقال : « الصلاة لمواقيتها»[٣٤] .

وقال سيدنا محمد ﷺ :« إن لله ملكاً ينادي عند كل صلاة : يا بني آدم قوموا إلى نيرانيكم التي أوقدتموها فأطفؤوها» [٣٥] .

فضيلة إتمام الأركان :

قال ﷺ : « من صلى الصلوات لوقتها ، وأسبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها ، خرجت وهي بيضاء مسفرة ، تقول : حفظك الله كما حفظتني . ومن صلاها لغير وقتها ، ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم خشوعها ولا سجودها خرجت وهي سوداء مظلمة تقول : ضيعك الله كما ضيعتني . حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ، ثم ضُرب بها وجهه[٣٦] » .

فضيلة الجماعة :

قال ﷺ :« صلاة الجمع تفضل صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة»[٣٧].

وروى سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه ، أنه ﷺ فقد أناساً في بعض الصلوات فقال : « لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس ، ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها ، فأحرّق عليهم بيوتهم»[٣٨] .

---

[٣٣] أخرجه مسلم (١/١٤٤) ، والترمذي (٢١٤) ، وابن ماجه (١٠٨٦) ، وابن خزيمة (٣١٤) ، وابن حبان (٢٤١٨) ، وأحمد (٢/٤٨٤) .

[٣٤] أخرجه البخاري (١/١٤٠٠) و (٤/١٧) و (٨/٢) و (٩/١٩١) ، وفي الأدب المفرد (١)، ومسلم (١/٦٢و ٦٣) ، والترمذي (١٧٣) و (١٨٩٨) ، والنسائي (١/٢٩٢) وابن خزيمة (١١٥٠) ، وأحمد (١/٤٠٩ و ٤٤٢ و ٤٥١) والحميدي (١٠٣) والدارمي (١٢٢٨)

[٣٥] أخرجه الطبراني في الأوسط (٩٤٥٢) .

[٣٦] أخرجه الطبراني في الأوسط (٣١١٧) و (٧٤٦٤) عن أنس .

[٣٧] أخرجه مسلم (٢/١٠٢و١١٢و١٥٦) ، والترمذي (٢١٥) ، والنسائي (٢/١٠٣) ، وابن ماجه (٧٨٩) وابن خزيمة (١٤٧١) ، ومالك (١٠٠) ، وأحمد (٢/١٧،٦٥) .

وقال سيدنا عثمان رضي الله عنه مرفوعاً : ((من صلى العشاء في جماعة ، فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كلّه)) [٣٩] .

وقال محمد بن واسع رحمه الله تعالى : ((ما أشتهي من الدنيا إلا ثلاثة: أخاً إن تعوّجت قوّمني ، وقوتاً من الرزق عفواً بغير تبعة ، وصلاة في جماعة يرفع عنّي سهوها ويكتب لي فضلها)) .

وقال الإمام الحسن رضي الله عنه : ((لا تصلوا خلف رجل لايختلف إلى العلماء)) .

وقال سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه : ((لأن تملأ أذنا ابنا آدم رصاصاً مذاباً خير له من أن يسمع النداء للصلاة ولا يجيب)) .

وقال ﷺ : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»[٤٠] .

قال الله عز وجل : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ إلا الله﴾ [٤١] .

---

[٣٨] أخرجه البخاري (١/١٦٥) ، (٩/١٠١) ، ومسلم (٢/١٢٣) ، والنسائي (٢/١٠٧) وابن خزيمة (١٤٨١) ، ومالك (١٠٠) ، والحميدي (٩٥٦) ، وأحمد (٢/٢٤٤) .

[٣٩] أخرجه مسلم (٢/١٢٥) ، أبو داود (٥٥٥) ، والترمذي (٢٢١) ،وابن خزيمة (١٤٧٣) ، وأحمد (١/٥٨) ، وعبد بن حميد (٥٠) .

[٤٠] أخرجه أحمد (٣/٦٨ و ٧٦) ، وعبد بن حميد (٩٢٣) ، والدارمي (١٢٢٦) وابن ماجه (٨٠٢)، وحسنه الترمذي (٢٦١٧) و (٣٠٩٣) ، وصححه ابن خزيمة (١٥٠٢) ، وابن حبان (١٧٢١) ، والبيهقي (٣/٦٦) ، وصححه الحاكم (٢/٣٣٢) ، عن أبي سعيد الخدري ، وحسنه المنذري ، ورمز السيوطي لصحته.

[٤١] سورة التوبة الآية (١٨) .

ولهذا يتعين علينا أن نأمر نساءنا بالصلاة والمحافظة عليها فإنهن أمانات عندنا

وقد قال الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾[٤٢] .

فمن لم يأمر امرأته بالصلاة ، ولم يعلمها ، فقد خان الله ورسوله ، واستحق من الله العقوبة ، وإنه لم يمتثل قوله تعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾ [٤٣] .

فأي خير في امرأة لا دين لها ؟! وأي خير في رجل لا يأمر امرأته وبنته وأخته بالصلاة ؟! .

قال السيد عبد الله بن علوي الحداد في كتابه (النصائح الدينية) : ((يجب عليك أن تحافظ على الصلاة ، ويحرم عليك أن تضيّعها . كذلك يجب عليك أن تشدد على أهلك وأولادك وكل من كان لك عليه ولاية في إقام الصلاة، وأن لا تدع لهم عذراً ، ومن لم يطع فهدده وعاقبه ، واغضب عليه أشد وأعظم مما تغضب عليه لو أتلف مالك ، وإن لم تفعل كنت من المستهينين بالصلاة وبحقوق الله ودينه)) .

قال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى : ((بلغنا أن يعقوب القارئ سُرق رداؤه من على كتفه وهو في الصلاة ، فأخذه الناس من اللص وزجروه وطردوه ثم وضعوا الرداء على عنق يعقوب كل ذلك وهو لا يشعر)) .

---

[٤٢] سورة الأنفال الآية (٢٧) .

[٤٣] سورة طه الآية (١٣٢) .

قال الإمام مجاهد رحمه الله تعالى : ((لقد أدركنا العلماء وأحدهم كان إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمن حتى لا يقدر أن يشد بصره إلى شيء أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا . وقد كان الذباب لم يزل يأكل في عين خلف بن أيوب رحمه الله تعالى وهو يصلي فلا يطرده عن نفسه . فقيل له يوماً في ذلك فقال : بلغني أن الفساق يتصبرون تحت أصياط الحاكم إذا ضربوا ليقال: فلان صبور ويفتخر بذلك وأنا قائم بين يدي رب العزة سبحانه فكيف أتحرك لذباب ؟!)) .

قال الإمام سميط بن عجلان رحمه الله تعالى : ((كيف يدّعي أحدكم الحضور مع الله تعالى في الصلاة وهو يحسّ بقرصة البرغوث إذا قرصه ؟!! والله لقد طعن أحدهم بالسنان وما درى حتى ساخت نفسه من خروج الدم ، ووقع على الأرض)).

وكان الإمام الفضل بن عباس رضي الله عنهما يقول : ((عجبت من هؤلاء الناس أراهم إذا مات لي ولد يعزّيني فيه أكثر من ألف إنسان وتفوتني صلاة الجماعة فلا يعزّيني في ذلك أحد !! والله إن ثواب صلاة الجماعة عندي أعظم من موت ولدي البالغ العاقل العالم الصالح)) .

وورد عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه ذهب يتفقّد رجلاً فاتته الجماعة فعندما وصل لباب بيته ، ودقّ عليه جاء الرجل مهرولاً عندما علم أنه سيدنا عمر فقال له سيدنا عمر : عندما ناديتك جئت مسرعاً ويناديك ربّ العزّة والجلال ولا تأتي !!.

وقال سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه : ((ماذا يعزُّ عليك من أمر دينك إذا هانت عليك صلاتك؟!!)) .

وحكي عن الإمام خلف بن أيوب رحمه الله تعالى أنه كان قائماً في الصلاة فلدغه عقرب فسال الدم وهو لايشعر !! حتى خرج من الصلاة فأعلمه ابن سعيد بذلك فغسل ثوبه . فقيل له : يلدغك عقرب ويسيل منك الدم ولم تشعر به!! فقال : أيشعر بمثل هذا من يكون واقفاً بين يدي الملك الجبار ، وملك الموت عن يمينه ، والنار عن شماله ، والصراط تحت قدميه ؟!! .

ووقعت الأكلة في يد عمرو بن ذرٌ ، وكان جليلاً في الزهد والعبادة فقال له الأطباءُ لا بدّ لك من قطع هذه اليد . فقال اقطعوها . فقالوا : لا نقدر على قطعها إلا أن نشدك بالحبال . فقال : لا ، ولكن إذا شرعت في الصلاة فاقطعوها حينئذٍ ، فلما دخل في الصلاة قطعت ولم يشعر بذلك !!.

المنهيات :

نهى رسول الله ﷺ عن صلاة الحاقن والحاقب والحازق ، وعن صلاة الجائع والمتلثم . فأما الحاقن : فمن البول ، والحاقب من الغائط ، والحازق : صاحب الخف الضيق ، فإن كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه الجائع المهتم، وفهم نهي الجائع من قوله ﷺ : « إذا حضر العَشاء وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعَشاء[٤٤] » .

وأما النهي عن التلثم فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ أن يغطي الرجل فاه في الصلاة» [٤٥] .

وقال سيدنا الحسن رضي الله عنه : ((كل صلاة لا يحضر فيها القلب، فهي إلى العقوبة أسرع)) ويكره أيضاً أن ينفخ في الأرض عند السجود، وأن يسوّي الحصا بيده ، وأن يستند في قيامه إلى جدار ونحوه .

وقال بعض السلف : ((أربعة في الصلاة من الجفاء : الالتفات ، ومسح الوجه ، وتسوية الحصا ، وأن تصلي بطريق من يمرّ بين يديك)) [٤٦].

---

[٤٤] أخرجه البخاري (١٧١/١) ، ومسلم (٧٨/٢) ، والنسائي (١١١/٢) ، والترمذي (٣٥٣) ، وابن ماجه (٩٣٣) ، وأحمد (١١٠/٣) و (١٦١/٣) ، والدرامي (١٢٨٥) ، وابن خزيمة (٩٣٤) و (١٦٥١) والحميدي (١٨١) .

[٤٥] أخرجه مالك (٩٥٦) .

[٤٦] موعظة المؤمنين للقاسمي (ص٧٠) .

بيان فضل الصلوات :

قال الله تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [٤٧]

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : أرأيتم لو أن نهراً باب أحدكم ، يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهنّ الخطايا »[٤٨]

وعن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جارٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات[٤٩] » .

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تغش الكبائر».

وعن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « من صلى البردين دخل الجنة » [٥٠] .

وعن سيدنا أبي زهير عُمارة بن رؤيبة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» [٥١] يعني الصبح والعصر .

---

[٤٧] سورة العنكبوت الآية (٤٥) .

[٤٨] أخرجه البخاري (١/١٤٠) ومسلم (٢/١٣١) ، والترمذي (٢٨٦٨) ، والنسائي (١/٢٣٠) ، وأحمد (٢/٣٧٩) ، والدرامي (١١٨٧) ، وابن حبان (١٧٢٦) ، والبيهقي (١/٣٦١) ، وأبو عوانة (٢/٢٠) ، والغوي (٣٤٢) .

[٤٩] أخرجه مسلم (٢/١٣٢) ، وأحمد (٣/٣٠٥) ، وعبد بن حميد (١٠١٤) ، والدارمي (١١٨٦) (٣٩).

[٥٠] أخرجه البخاري (١/١٥٠) ومسلم (٢/١١٤) وابن حبان (١٧٣٩) والبغوي (٣٨١) والبيهقي (١/٤٦٦) وأحمد (٤/٨٠) .

وعن سيدنا جندب بن سفيان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى الصبح فهو في ذمة الله ، فانظر يا ابن آدم لا يطلبك الله من ذمته بشيء»[52] .

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « يتعاقبون فيكم الملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم الله وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون» [53] .

وعن سيدنا جرير بن عبد الله البجلي ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لاتضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» [54] .

وعن سيدنا بُريدة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله» [55] .

والصلاة عماد الدين ، وغرّة الطاعات . فقد ورد في فضائل الصلاة أخبار كثيرة مشهورة ، ومن أحسن آدابها الخشوع ، فقد كان سيدنا علي بن

---

[51] أخرجه مسلم (٢/١١٤) وأحمد (٣/١١٤) ، وأبو داود (٤٢٧) ، والنسائي (١/٢٣٥) ، وابن خزيمة (٣١٨) ، و (٣١٩) ، وأحمد (٤/١٣٦ و ٢٦١) ، والحميدي (٨٦١) و (٨٦٢) .

[52] انفرد به مسلم (٢/١٢٥) .

[53] أخرجه البخاري (١/١٤٥) و (٤/١٣٨) و (٩/١٥٤ و ١٧٤) ومسلم (٢/١١٣) ، والنسائي (١/٢٤٠) ، ومالك (١٢٣) ، وأحمد (٢/٤٨٦) .

[54] أخرجه البخاري (١/١٤٥و ١٥٠) و (٦/١٧٣) و (٩/ ١٥٦،) ، في خلق أفعال العباد ص (١٢) ، ومسلم (٢/١١٣و١١٤) ، وأبو داود (٤٧٢٩) والترمذي (٢٥٥١) والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ـ ٣٢٢٣) وابن ماجه (١٧٧) وابن خزيمة (٣١٧) ، وأحمد (٤/٣٦٠ و ٣٦٢ و ٣٦٥) ، والحميدي (٧٩٩).

[55] أخرجه البخاري (١/١٤٥و١٥٤) ، والنسائي (١/٢٣٦) ، وابن خزيمة (٣٣٦) ، وأحمد (٥/٣٤٩ و٣٥٠و٣٥٧ و٣٦٠) .

الحسن رضي الله عنهما إذا توضأ اصفر لونه . فقيل له : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟! فقال : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟! .

واعلم أن للصلاة أركاناً وواجبات وسنناً ، وأن روحها النية والإخلاص والخشوع وحضور القلب . فإن الصلاة تشتمل على أذكار ومناجاة وأفعال ، ومع عدم حضور القلب لا يحصل المقصود بالأذكار والمناجاة . لأن النطق إذا لم يعرب عمّا في القلب كان بمنزلة الهذيان . وكذلك لا يحصل المقصود من الأفعال. لأنه إذا كان المقصود من القيام الخدمة ، ومن الركوع والسجود الذل والتعظيم، ولم يكن القلب حاضراً لم يحصل المقصود . فإن الفعل متى خرج عن مقصوده بقي صورة لا اعتبار بها.

قال الله تعالى : ﴿ لن ينال اللهَ لحومُها ولا دماؤُها ، ولكن يناله التقوى منكم﴾ [٥٦]

والمقصود أن الواصل إلى الله سبحانه وتعالى هو الوصف الذي استولى على القلب حتى حمل على امتثال الأوامر المطلوبة ، فلابد من حضور القلب في الصلاة ولكن سامح الشارع في غفلة تطرأ . لأن حضور القلب في أولها ينسحب إلى باقيها[٥٧] .

المعاني التي تتم بها حياة الصلاة :

المعنى الأول : حضور القلب ومعناه أن يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له . وسبب ذلك الهمة ، فإنه متى أهمّك أمر ، حضر قلبك ضرورة فلا علاج لإحضاره إلا صرف الهمة إلى الصلاة ، وانصراف الهمة يقوى ويضعف

---

[٥٦] سورة الحج الآية (٣٧) .

[٥٧] مختصر منهاج القاصدين ص (٢٩-٣٠) .

بحسب قوة الإيمان بالآخرة واحتقار الدنيا ، فمتى رأيت قلبك لا يحضر في الصلاة فاعلم أن سببه ضعف الإيمان فاجتهد في تقويته .

المعنى الثاني : التفهم لمعاني الكلام فإنه أمر وراء حضور القلب ، لأنه ربما كان القلب حاضراً مع اللفظ دون المعنى ، فينبغي صرف الذهن إلى إدارك المعنى بدفع الخواطر الشاغلة ، وقطع موادها ، فإن المواد إذا لم تنقطع لم تنصرف الخواطر عنها ، والمواد إما ظاهرة : وهي ما يشغل السمع والبصر . أو باطنة : وهي أشد كمن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا ، وعلاج ذلك أن يقطع ما يشغل السمع والبصر وهو القرب من القبلة والنظر لموضع سجوده ، وعلاجه باطنياً أن يرد النفس إلى ما يقرأ في الصلاة ، ويشغلها به عن غيره ويستعد لذلك قبل الدخول في الصلاة ويجتهد في تفريغ قلبه ويجدد على نفسه ذكر الآخرة وخطر القيام بين يدي الله عز وجل وهول المطلع .

المعنى الثالث : التعظيم لله والهيبة ، وذلك يتولد من شيئين : معرفة جلال الله وعظمته ، ومعرفة حقارة النفس وأنها مستعبدة ، فيتولد من المعرفتين الاستكانة والخشوع ، والمصلي ينبغي أن يكون راجياً بصلاته الثواب كما يخاف من تقصيره العقاب ، وينبغي للمصلي أن يحضر قلبه عند كل شيء في الصلاة فإذا سمع نداء المؤذن فليمثل النداء للقيامة ويشمر للإجابة ولينظر ماذا يجيب وبأي بدن يحضر ، وإذا ستر عورته فليعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق ، فليذكر عورات باطنه وفضائح سره التي لا يطلع عليها إلا الخالق وليس لها عنه ساتر وأنها يكفرها الندم والحياء والخوف ، وإذا استقبل القبلة فقد صرف وجهه من الجهات إلى جهة بيت الله تعالى ، فصرْفُ قلبه إلى الله تعالى أولى من ذلك فكما أنه لا يتوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها كذلك القلب لا ينصرف إلى الله تعالى إلا بالانصراف عما سواه ، فإذا كبّرت أيها المصلي فلا يكذبن قلبك لسانك ، لأنه إذا كان في قلبك شيء أكبر من الله تعالى فقد كذبت، فاحذر أن يكون الهوى عندك أكبر بدليل إيثارك موافقته على طاعة الله تعالى ، فإذا استعذت فاعلم أن الاستعاذة هي اللجوء إلى الله تعالى فإذا لم تلجأ بقلبك كان كلامك لغواً ، وتفهم معنى ما تتلوه ، وأحضر

التفهم بقلبك عند قولك : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ واستحضر لطفه عند قولك ﴿ الرحمن الرحيم﴾ وعظمته عند قولك ﴿ مالك يوم الدين ﴾ كذلك في جميع ما تتلوه وقد روينا عن سيدنا زرارة بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ أنه قرأ في صلاة ﴿ فإذا نقر في الناقور ﴾[58] فخرّ ميتاً ، وماذاك إلا أنه صوّر تلك الحالة فأثرت عنده التلف . واستشعر في ركوعك التواضع وفي سجودك زيادة الذل ، لأنك وضعت النفس موضعها ، ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذي خلقت منه ، وتفهم معنى الأذكار بالذوق واعلم أن أداء الصلاة بهذه الشروط الباطنية سبب لجلاء القلب من الصدأ و حصول الأنوار التي بها تتلمح عظمة المعبود ، وتطلع على أسراره ، وما يعقلها إلا العالمون ، فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها فإنه لا يطلع على شيء من ذلك[59] .

حسن الخلق من صفات المصلين :

يجب أن يكون المسلم ـ المصلي ـ من أحسن الناس خلقاً ، يعامل الناس باللين والسماحة ونبيل الخصال ، فيكون بين الناس كالزهرة النضرة طيباً ورفقاً وتواضعاً ، لأن الألفة والقول الحسن السديد ثمرة حسن الخلق ، والهجر[60] والسباب ثمرة سوء الخلق .

وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته ، وهو مما يجب على كل مؤمن أن يتحلى به وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه ﷺ إذ قال : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم﴾[61]

وقال سيدنا رسول الله ﷺ : « أكثر مايدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق »[62] .

---

[58] سورة المدثر الآية (٨) .

[59] مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ص (٣١ ـ ٣٢) .

[60] الهُجر : هو رديء الكلام والفحش من القول .

[61] سورة القلم الآية (٤) .

[62] رواه الترمذي (٢٠٠٤) ، وابن ماجه (٤٢٤٦) ، وأحمد (٢٩١/٢و٣٩٢ و٤٤٢) ، وابن حبان (٤٧٦) ، والحاكم (٣٢٤/٤) ، والبغوي (٣٤٩٧) و (٣٤٩٨) عن أبي هريرة .

وقال سيدنا أسامة : قلنا : يارسول الله ماخير ما أعطي الإنسان ؟ فقال: « حسن الخلق »[٦٣]

وقال رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[٦٤]، وقال صلى الله عليه وسلم : « أثقل مِايوضع في الميزان الخلق الحسن »[٦٥] .

وكان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال ، دائم السؤال إلى الله تعالى أن يزيّنه بمحاسن الآداب ، ومكارم الأخلاق ، فكان يقول في دعائه : « اللهم حسن خلقي وخلقي »[٦٦] **ويقول أيضاً** : « اللهم جنبني منكرات الأخلاق »[٦٧] فاستجاب الله دعائه وفاءً بقوله عز وجل ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾[٦٨] فأنزل عليه القرآن وأدَّبه به ، فكان خلقه القرآن، قال سيدنا سعد بن هشام رضي الله عنه : دخلت على السيدة عائشة رضي الله عنها فسالتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : كان خلق رسول الله ﷺ القرآن[٦٩] .

---

[٦٣] أخرجه ابن أبي شيبه (٥١٤/٨) ، والطبراني في الكبير (٤٦٣) و (٤٦٤) و (٤٦٦) و (٤٦٨) و (٤٦٩) و (٤٧٠) و (٤٧٥) و (٤٧٩) و (٤٨٠) و (٤٨١) و (٤٨٢) والطيالسي (١٢٣٣) وأحمد (٢٧٨/٤) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤/٨) .

[٦٤] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) وأحمد (٣٨١/٢) .

[٦٥] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٠) والترمذي (٢٠٠٣) وأحمد (٤٤٢/٦ و ٤٤٦ و٤٤٨)، وأبو داود (٤٧٩٩) وعبد بن حميد (٢٠٤) عن أبي الدرداء .

[٦٦] أخرجه أحمد (١/ ٤٠٣) ، وأبو يعلى (٥١٨) و (٥٠٧٥) وصححه ابن حبان (٩٥٩) والطيالسي (٣٧٤) ، وابن سعد (١/ ٣٧٧) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٧٣) عن عبد الله بن مسعود.

[٦٧] أخرجه الترمذي (٣٥٩١) وابن حبان (٩٦٠) والطبراني (١٩ / ١٩) وصححه الحاكم (٥٣٢/١) ووافقه الذهبي عن قطبة بن مالك .

[٦٨] سورة غافر الآية (٦٠)

[٦٩] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٠٨) والنسائي في الكبرى (٦ / ٤١٢) وأحمد (٩١/٦و١١١)

وإنما أدَّبه الله عز وجل بالقرآن الكريم بمثل قوله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾[٧٠]

وقوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ﴾[٧١]

وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾[٧٢]

وقوله تعالى : ﴿ فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾[٧٣]

وقوله تعالى : ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾[٧٤]

وقوله تعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾[٧٥] .

وقوله تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾[٧٦]

وقوله تعالى : ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾[٧٧]

وبالمقابل جاء النهي عن الفحش والتفحش في أحاديث كثيرة ، منها قوله ﷺ للسيدة عائشة رضي الله عنها : « عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش »[٧٨].

---

[٧٠] سورة الأعراف الآية (١٩٩).
[٧١] سورة النحل الآية (٩٠) .
[٧٢] سورة الشورى الآية (٤٣) .
[٧٣] سورة المائدة الآية (١٣) .
[٧٤] سورة النور الآية (٢٢) .
[٧٥] سورة فصلت الآية (٣٤) .
[٧٦] سورة آل عمران الآية (١٣٤)
[٧٧] سورة الفرقان الآية (٦٣)
[٧٨] أخرجه البخاري (٥٦٨٣) وفي الأدب المفرد (٣١١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يبغض كل جَعْظري جَوَّاظ[٧٩] صخّاب في الأسواق عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة »[٨٠]

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يبغض الفاحش البذيء »[٨١]
وقال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه:(لم يكن النبي ﷺ سبَّاباً ولا فحاشاً)[٨٢] .

ومن الخصال الدالة على سوء الخلق والتعصب ـ أعاذنا الله من ذلك ـ أن يهجر المؤمن أخاه المؤمن لمجرد مخالفته له في الرأي أو فيما يذهب إليه !! وكذلك أن ينهى الناس عن مجالسته وزيارته أو قراءة ما يكتبه بحجة عدم جواز مجالسة أهل البدع والأهواء !! وكذا عدم جواز قراءة كتبهم !! وهذا التعصب المقيت ـ أعاذنا الله منه يدل ـ على الإفلاس العلمي التام عند من يدعو إليه !! لأن هذه حجةمن لا يستطيع مقارعة الحجة ، كما لا يستطيع أن يجلس لمناظرة المخطئ أو المبتدع لبيان خطئه وبدعته له وللناس ، بالحجة والبرهان دون تعصب أو تعنت ، ومجالسة أهل الضلال لمناظرتهم وإقناعهم سبيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما أمرهم الله به إذ قال سبحانه: ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾[٨٣] وقال سبحانه : ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾[٨٤] . وقالى تعالى: ﴿ قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ﴾[٨٥] . والذي نقوله : إن الدعوة إلى هجر المبتدع هي دواء سلبي بعيد عن هديه عليه الصلاة والسلام حيث قال: « لا

---

[٧٩] الجعظري : الفظ الغليظ ، والجوّاظ : الضخم المختال أو صاحب الشر أو الجموح الممنوع .
[٨٠] أخرجه البيهقي (١٩٤/١٠) ، وابن حبان (٧٢) .
[٨١] أخرجه الطبراني في الكبير (٤٠٥) واللفظ له ، وابن حبان (٥٦٩٤) وحسّنه ، وأورده الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٦٤/٨) .
[٨٢] أخرجه البخاري (١٥/٨و١٨) وفي (الأدب المفرد) (٤٣٠) وأحمد (١٢٦/٣ و ١٤٤ و١٥٨).
[٨٣] سورة البقرة الآية (١١١)
[٨٤] سورة النحل الآية (١٢٥)
[٨٥] سورة هود الآية (٣٢)

يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ ، يلتقيان فيعرض هـذا ويعرض هـذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[٨٦] .

ولأنه بالهجر تبعد إمكانية اللقاء للمباحثة والمناظرة والمناقشة التي يتم من خلالها الإقناع بالحجة !! فنسأل الله تعالى أن يحسّن أخلاقنا ويصون ألسنتنا من الوقوع في الفحش والبذاءة ويرشدنا إلى الصواب ، ويقينا شر التناقض !! والتعصب !! والاصرار على الباطل !! إنه سميع قريب .

وصفات المسلم وأخلاقه الحميدة الحسنة ذاتية بحيث لا يستطيع أن يتخلى عنها أو يغيرها بانتقاله من مكان إلى مكان ، أو من بلد إلى بلد ، أو في زمان دون زمان !! فالمسلم الصادق المؤمن الحقيقي من يدعو الناس لدينه بحسن معاملته وصدقه حتى مع الكفار ، وكم أدخل المسلمون في السابق شعوباً كاملة في الإسلام ، وأقطاراً وبلداناً دون استعمال السيف لما رآه أولئك منهم من حسن أخلاق وشيم وعدل وإنصاف ، ولا أدّل على ذلك من إدخال السادة الخضارمة (الباعلويون) رضي الله عنهم الإسلام إلى جزر جاوه والسواحل الهندية والإفريقية بدون حرب حتى دخل نحو مئتي مليون مسلم في الإسلام ، وتمذهبوا بمذهب الإمام الشافعي ، لما رآه أهل تلك الأقاليم من صدق وحسن معاملة وأخلاق هؤلاء الدعاة الذين تأسوا بجدهم المصطفى ﷺ حيث كان يقابل الإساءة بالإحسان ، قال تعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم﴾[٨٧].

ومما يُؤسف له جدُّ الأسف ، أن هناك من يسيء إلى الإسلام والمسلمين، فمتى لاحت له الفُرص أظهر حقيقة نفسه !! وبعضهم يذهب إلى بعض الدول وخاصة إلى أوربا وأمريكيا فيبدل أخلاقه ، وينزع ثوب الحياء

---

[٨٦] أخرجه البخاري (٢٦/٨ و ٦٥) وفي (الأدب المفرد) (٣٩٩) و (٤٠٦) ، ومسلم (٩/٨) وأبو داود (٤٩١١) والترمذي (١٩٣٢) والحميدي (٣٧٧) وأحمد (٤١٦/٤ و ٤٢١) ومالك (٥٦٥) .

[٨٧] سورة فصلت الآية (٣٤)

المستعار فينقلب خلقه انقلاب لون الحرباء ويظهر حقيقة صفاته الذاتية !! فيزعم أنه يجوز له الزنا بنساء تلك الديار لأنهن كافرات حربيات !! وكذا يستحلُّ السطو والسرقة لأموالهم ، بحجة أنهم حربيون !! بل قد يجدون زائغاً مارقاً يفتيهم بجواز ذلك ومن أظلم ممن أحلّ ما حرم الله تعالى[88] .

العلاج لابتعاد المصلي عن الفحشاء والمنكر :

فمن أدى الصلاة وهو عالم بأركانها وشروطها فاهماً لها متفقهاً فيها على الوجه الصحيح المطلوب ، فإن الله سبحانه وتعالى يخلق في قلبه سراً يجعله يأتمر بالمعروف وينتهي عن المنكر . فيحبب إليه الطاعات ، ويكرّه إليه المعاصي والمخالفات . فتكون سبباً كبيراً في كونها تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر فيحسن خلقه ، ويخلص في عمله ، فيتحقق قول الله تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾[89]

فإن قيل : هل يكلف جميع المسلمين أن يتعلموا فقه الصلاة وماإلى ذلك، حتى العوام الذين لا يقرؤون ولا يكتبون ؟!

فأقول : نعم ، وذلك واجب على كل مسلم ومسلمة . فإن الله تعالى ما خلقنا إلا لنعبده . قال سبحانه وتعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[90]

وأرسل إلينا كتبه ورسله وأنبياءه لنفهم ونعقل عنهم ما أمرنا الله به من الأوامر ، وما نهانا عنه من النواهي وأن نأتي بما أمرنا به على الهيئة الصحيحة والكيفية المطلوبة إذ قال سبحانه : ﴿ أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أمَّاذا كنتم تعملون ﴾[91] وقال صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[92]

---

[88] صحيح صفة صلاة النبي ﷺ ، تأليف الشيخ حسن بن علي السقاف ص (٨ - ١١) .
[89] سورة العنكبوت الآية (٤٥) .
[90] سورة الذاريات الآية (٥٦)..
[91] سورة النمل الآية (٨٤) .
[92] أخرجه ابن ماجه (٢٢٤) عن أنس وحسّنه المزّي .

وكان أكثر الصحابة رضوان الله عليهم أُمّيين ، ومـع ذلـك تعلمـوا أمـور دينهم وتفقهوا فيـه ، ونشـروا العلـم فـي أرجـاء الأرض مـع ضعـف المواصـلات وكونها بطيئة وفقدان الكهرباء والطباعة والإعلام لا كما هو موجود اليوم !!

فإذا لم يتفقه المسلم ويتعلم أمور دينه فماذا سيتعلم ؟!!

هل سيبقى جاهلاً طيلة حياته بأحكام الدين الذي يدَّعي الانتماء إليه ؟!

وهل سيعذر غداً عنـد اللـه تعـالى ، فيقـول المـرء منهـم : (يـارب لقـد أضعت حياتي هكذا سداً وسبهللاً ، ولـم أتعلـم يـارب مافرضتـه علـي مـن أمـور ديني؟!)[٩٣]

ويتساءل بعض إخوانـنـا !! فيقولـون : يقـول اللـه تعـالى : ﴿ إن الصـلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾[٩٤] فما بالنا نرى بعض النـاس يصلـون ولـم ينتهـوا عن فحشاء ولا منكر ، ولا يأتمرون بمعروف ؟! فنجد أخلاقهم سـيئة وكلامهـم فظاً غليظاً !! أو نرى بعضهم غير مستقيم في معاملتـه للآخريـن أو فـي سـلوكه ، فنراه يغش الآخرين أولا يتحلى بالاستقامة والإتقان والإخلاص فـي عملـه !! فمـا هو الجواب على ذلك ؟!!

فنقول : الجواب على ذلك أن هؤلاء ما أقاموا الصلاة علـى وجههـا ولا على كيفيتها الصحيحة المطلوبة التي جاءت عن سيدنا رسول الله ﷺ ، والتي أمر بها وعلمها الصحابة الكرام فهؤلاء أعرضوا عـن التفقـه فـي الصـلاة والتفكـر فـي تصحيحها ، واقتصروا على أداء حركات ظاهرة يقلدون بها غيرهم !! وكما يقال اليوم : (هو عمل روتيني) ألا ترى إلى ذلك الرجل الذي دخل المسجد فصلـى، ورسول الله ﷺ ينظر إليه ، ثم قال له عندما فرغ من صلاته : « ارجع فصل فإنك لم تصل »[٩٥] ثلاث مرات ؟

---

[٩٣] كتاب صحيح صفة صلاة النبي ﷺ ، تأليف الشيخ حسن بن علي السقاف ص (١٠ ـ ١٢ ـ ١٤) .

[٩٤] سورة العنكبوت الآية (٤٥) .

[٩٥] تقدم تخريجه .

ففي هذا الكلام من النبي ﷺ تصريح بكل وضوح بان بعض النّاس يأتي بحركات الصلاة ولا يعتبر في الحقيقة قد صلى . لأنه بعدم تفقهه وتعلمه لأمور دينه يخل ببعض الأركان ، أو لا ينطق ببعض الأذكار الواجبة في الصلاة حسب ما هو مطلوب شرعاً . فتكون صلاته فاسدة وكأنه لم يصلّ ، مع ملاحظة أن ذلك الرجل الذي قال له النبي ﷺ « ارجع فصل فإنك لم تصل » أحد الصحابة، وهو بلا شك مخلص في عبادته ومع ذلك بين له النبي ﷺ بأن عبادته فاسدة وأن مجرد الاخلاص لايكفي لتصحيح العبادة ، فلا بد من توفير العلم والإخلاص فيها، كما قال أحد العلماء :

وكل من بغير علم يعمل	أعماله مردودة لا تقبل
واللهَ أرجو المن بالإخلاص	لكي يكون موجب الخلاص

الخواطر على القلب :

اعلم أن الخواطر التي ترد علىالقلب أربعة : **رباني** : وهو من فوق القلب، **وملكي** : وهو من يمين القلب ، **ونفسي** : وهو من أرض القلب ، **وشيطاني** : وهو من القلب .

ـ **فعلامة الخاطر الرباني** : أن لا يندفع بالدفع لأن له على القلب صولة كصولة الأسد ، لوروده من حضرة القهار .

ـ **وعلامة الخاطر الملكي** : أن تعقبه لذة مع برودة ، ولا يجد صاحبه ألماً ولا تغييراً في صورته وإنما هو كالناصح .

ـ **وعلامة الخاطر النفسي** : أن يعقبه في القلب ألم ، وفي الصدر ضيق ، وفي القلب إلحاح ، فإن النفس كالطفل تلحّ في مطلبها ولا تستبدل به غيره .

- **وعلامة الخاطر الشيطاني** : أن يعقبه ألم ، وإذا حولته لأمر آخر تحول. فإن الشيطان يريد إغواءك بأي وجه كان .

ومعرفة الخواطر وتمييزها عسير إلا لمن تحلى بالتقوى والزهد والورع وأكل الحلال الطيب ، وكان دائماً مراقباً خواطره ، لا يترك الغير يمر بباله[٩٦]

وسنتكلم عن هذه الخواطر بشيء من التفصيل :

أولاً : الخاطر الرباني :

وهو علامة على قبول الصلاة وهو أعلى درجات المصلين . وهو حقيقة المناجاة . وإلى هذا المعنى كان سيدنا محمد ﷺ يشير بقوله : « وجعلت قرة عيني في الصلاة »[٩٧] .

وبقوله أيضاً : « قم يا بلال فأرحنا بالصلاة »[٩٨] فإنه يبرد ظمأ المجاهدة بعذوبة برد شراب المناجاة ، فتستريح برحاؤه[٩٩] عليه الصلاة والسلام بذلك .

قال عليه الصلاة والسلام : « ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أوساجداً ، فأما الركوع فعظّموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء»[١٠٠] لما فيه من القرب والتداني ، وهذا خاص بأربابه في الفهم والحال، اللهم إنا نسالك أن تجعلنا من أهله ، وإلا فلا تحرمنا التصديق به .

---

(٩٦) مفتاح النجاة في فضل الخشوع في الصلاة ص (٦١) .

(٩٧) هو عجز حديث أوله : « حبب لي من دنياكم . . . » أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٢٠٣) و(٥٧٧٢) والحاكم (١٦٠/٢) .

(٩٨) أخرجه أبو داود (٤٩٨٦) وأحمد (٣٧١/٥) والطبراني (٦/ ٦٢١٥) عن محمد بن الحنفية .

(٩٩) برحاؤه : أي تعبه

(١٠٠) أخرجه مسلم (٤٨/٢) ، وأبو داود (٨٧٦) و النسائي (١٨٩/٢ و ٢١٧) وابن ماجه (٣٨٩٩) وابن خزيمة (٥٤٨) و (٥٩٩) و (٦٠٢) و (٦٧٤) والحميدي (٤٨٩) وأحمد (٢١٩/١) والدارمي (١٣٣١) و (١٣٣٢) .

ثانيا : الخاطر الملكي :

وهو كل ما يدعو إلى خير إما أن تفعله وإما أن يكون لك سبباً إلى الخشوع ، وهو من أعلى درجات المصلين ، وإما أن ينقطع عنك الوسواس في صلاتك . وهو مع ذلك لا يزيد الصلاةإلا حسناً مالم يطل المحادثة به حتى يقع به الخلل في شيء من الصلاة فإنه إذ ذاك تعاد الصلاة منه مثل مافعل سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين صلى المغرب بالصحابة رضوان الله عليهم ، ولم يقرأ فيها ، فذكروا له بعد ذلك فقال : كيف الركوع والسجود ؟ فقالوا: حسن. قال: فلا بأس إذاً إني جهزت جيشاً إلى الشام ، وأنزلت الناس منازلهم، وذكروا أنه أعاد الصلاة .

وفي إعادة الصلاة خلاف بين العلماء فيكون في إعادة الصلاة إذا تم ركوعها وسجودها ولم يقرأ ، خلاف ، فإن نقص شيء من الركوع والسجود فلا بد من الإعادة لقوله صلى الله عليه وسلم : « ارجع فصل فإنك لم تصل»[١٠١] لما نقص من التمكين في أركانها كما هو مذكور في الحديث .

ثالثاً الخاطر النفساني :

فإن كان ممّا ينافي الصلاة مثل التحدث في شهوة من الشهوات المباحة فالاعادة مندوبة لأن المقصود من الصلاة الحضور والخروج من خطوط النفس ، فقد ورد في الأثر : (لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه) فإذا كان القلب مشغولاً بتلك الشهوة فأين هو ، وأين الصلاة ؟! اللهم إلا أن تكون خطرة من النفس فيتركها ولا يلتفت لها ، فلا تضره إن شاء الله إذا كان عند إحرامه قد أخلص ، فإنما نحن مكلفون بدفع خواطر السوء في الصلاة وغيرها إلا أنها في الصلاة آكد للعلة المتقدمة ، فقد ورد في الأثر : (أحدث مع الذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية) .

---

[١٠١] تقدم تخريجه .

رابعاً الخاطر الشيطاني :

كل ما يذكّر المصلي بالمعاصي فهو من قبيل الشيطان فإن لم يلتفت إليه واستغفر وأعرض فيرجى أن لا تفسد صلاته إن شاء الله عز وجل وأما الوجه الذي بين الجواز والبطلان على حسب التقسيم أولاً فهو الذي تكثر عليه الخواطر ويغفل عن دفعها ولا يشتغل بها أيضاً فلا دليل لنا على الفساد ولا على ضده ، واعلم أن حفظ القلب من دخول الخواطر ولو ربع ساعة أمر عظيم حتى قال أحد العارفين : حفظ القلب من دخول الخواطر ولو لحظة واحدة أمر عظيم عندنا . فإن من قدر على ذلك فقد تصوف ، لأن التصوف هو القدرة على حفظ القلب عن دخول الخواطر وتعطيله عن الأفكار ، فمن قدر على هذين الأمرين فقد عرف حقيقة قلبه ، ومن عرف حقيقة قلبه فقد عرف ربه .

بيان الدواء النافع في حضور القلب :

اعلم أن المؤمن لا بد أن يكون معظماً لله عز وجل وخائفاً منه وراجياً له ومستحياً من تقصيره ، فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه ، فانفكاكه عنها في الصلاة لاسبب له إلا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ، ولا ينهى عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة .

وأسباب هذه الخواطر إما أن تكون خارجية أو داخلية .

أما الأسباب الخارجية :

فما يقرع السمع أو يظهر للبصر ، فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه وينصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ويكون الإبصار سبباً للافتكار، ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد أن يتفرق به فكره ، وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره أو لا يترك بين يديه مايشغل حسّه ويقرب من جدار عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة .

وأما الأسباب الداخلية :

فهي أشد فإن من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب ، فهذا علاجه أن يرد النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله سبحانه وهول المطلع ، ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه ، فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذي يقمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر في الأمور الصارفة عن إحضار القلب ، ولا شك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات بشهواته ، فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق كما ورد أنه ﷺ لما لبس الخميصة[١٠٢] التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها ، نزعها بعد صلاته : وقال : « اذهبوا بها إلى أبي جهم فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي وائتوني بأنبجانية[١٠٣] أبي جهم[١٠٤] ».

كيفية الوقوف بين يدي الله عز وجل :

قال عبد الرؤوف المناوي رحمه الله في شرحه الكبير على الجامع الصغير عند قوله ﷺ : « فيضرب بها وجهه » أي كناية عن خيبته وخسرانه وإبعاده وحرمانه ، فيكون حاله أشد من حال التارك للصلاة ، فالذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة أسوء حالاً من المعرض عن الخدمة بالكلية .

---

[١٠٢] الخميصة : ثوب خز أو صوف معلّم وقيل : لا تسمى الخميصة إلا أن تكون سوداء معلمة وجمعها خمائص .

[١٠٣] مكسورة الباء ففتحت في النسب، وأبدلت الميم همزة ، وقيل منسوبة لموضع يقال له أنبجان ، وقيل منسوبة لمنبج .

[١٠٤] أخرجه البخاري (١/١٠٤ و ١١٩) و (٧/١٩٠) ، ومسلم (٢/٨٧ و ٧٨) ، وأبو داود (٩١٤) و(٩١٥) و (٤٠٥٢) و (٤٠٥٣) و النسائي (٢/٧٢) و ابن ماجه (٣٥٥٠) و ابن خزيمة (٩٢٨) و(٩٢٩) ، وأحمد (٦/٣٧ و ٤٦ و ١٩٩ و ٢٠٨) والحميدي (١٧٢) .

وقال ابن عطاء رحمه الله : ((من صلى الصلاة بغير حضور قلب كان كمن أهدى للملك مائة صندوق فارغة فيستحق العقوبة من الملك ، ومن صلاها بحضور قلب كان كمن أهدى له ياقوتة تساوي ألف دينار)) وإذا دخلْتَ في الصلاة فإنك تناجي الله لأن الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « صل صلاة مودِّع كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنه يراك»[١٠٥] .

وقال محمد زعيتر النابلسي رحمه الله : ((واعلم أن الصلاة صلة بين العبد وربه للمناجاة والمخاطبة فكيف به حين يقرأ في الصلاة « إياك نعبد وإياك نستعين » وهو يتحدث مع الشيطان في أمور الدنيا بالوسوسة ، فكأنه يقول للشيطان إياك نعبد وإياك نستعين لأن هذا خطاب والخطاب يكون موجهاً للمخاطب)) .

قال أحد العارفين بالله لأحد تلامذته : (اعلم أن المصلي يناجي ربه ، وأنك واقف بين يديه تتلو عليه كلامه ، فانظر حظك من القرآن وتدبر ما تقرؤه، فليس المراد جمع الحروف ولا تأليفها ولا حكاية الأقوال وإنما المراد القراءة بتدبر معاني ما تتلوه فلا تكن جاهلاً) .

قال عليه الصلاة والسلام : « خمس صلوات افترضهن الله عز وجل من أحسن وضوءهن وصلاتهن لوقتهن وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له على الله عهداً أن يغفر له ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه »[١٠٦] .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (ركعتان مع حضور قلب خير من ألف ركعة والقلب ساهٍ) .

---

[١٠٥] أخرجه الطبراني (٤٤٢٧) .

[١٠٦] أخرجه أحمد (١١٧/٥) ، وأبو داود (٤٢٥) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا قام الرجل في صلاته أقبل الله عليه بوجهه ، فإذا التفت قال يا ابن آدم إلى من تلتفت إلى من هو خير لك مني ؟ أقبل عليّ ، فإذا التفت الثانية قال له مثل ذلك، فإذا التفت الثالثة صرف الله تبارك وتعالى وجهه عنه »(١٠٦) .

وروي أن الله تعالى قال في بعض الكتب : (عبدي أما استحيت مني أن أعرضت وجهك عني وتقبل على غيري) .

قال الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه : (أي بني اعلم أن العبد بين الله وخلقه ، إن التفت منه إلى الخلق تجرد عن الحق وصار متروكاً محروماً ، وإن التفت إلى الله عن الخلق قربه الله وأدناه وأوصله إلى قربه . فإن الله تعالى إذا أحب عبداً غار عليه على قدر قربه منه وحبه له ، ولم يحتمل منه الالتفات إلى شيء سواه ، فإنه إن نظر إلى شيء دونه عذبه الله بذلك الشيء وجعله وبالاً عليه).

وقال ذو النون المصري رضي الله عنه : (من التفت في الصلاة إلى غيرها فقد سقط عن درجة المصلين) .

وأوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك : تحضروني بأبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتغيبون عني بقلوبكم ، باطل ما تذهبون إليه .

وقال أبو سليمان الداراني : (إذا وقف العبد في الصلاة يقول الله تعالى: ارفعوا الحجب فيما بيني وبين عبدي ، فإذا التفت يقول الله : ارخوها فيما بيني وبينه وخلوا عبدي وما اختار لنفسه .

---

(١٠٦) أخرجه البزار (٥٥٢) عن جابر بن عبد الله .

قال علي بن حسن بن عبد الله العطّاس رضي الله عنه : ((راقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يتجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين ، وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها ، حتى أنك لا تذكر ما نسيته من فضول الدنيا إلا في صلاتك ، ولا تزدحم الشياطين على قلبك إلا إذا صليت والصلاة محكّ القلوب وبها تظهر مساويها ومحاسنها ، فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا . فإن شئت الخلاص من الشياطين فقدم الاحتماء بالتقوى ثم أردفه بدوام الذكر)) .

وقال الإمام عبد القادر الجيلي رضي الله عنه مخاطباً بعض مريديه : (أنتِ منافق ، أنت مراءٍ ، على من تتبرهج ؟ على من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور !! ويلكَ تقف في الصلاة وتقول : الله أكبر وأنت تكذب في قولك ، الخلق في قلبك أكبر من الله عز وجل تب إلى الله ولا تعمل حسنة لغيره، لا للدنيا ولا للآخرة ، وكن ممن يريد وجه الله عز وجل) .

وقال الإمام عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى : (من أخلاق الصوفية التهيؤ للوقوف بين يدي الله تعالى في كل صلاة من أول الوقت . فكان أحدهم يستشعر عظمة الله شيئاً فشيئاً من حين وضوئه ومن حين ينادي حي على الصلاة حتى يصل إلى الحضور مع الله تعالى بحسب مقامه) . فإذا كبَّرتَ تكبيرة الإحرام ورفعت يديك فاقصد برفعهما أنك طرحت خلف ظهرك الدنيا والآخرة متوجهاً إلى الله تعالى ، فإن هذه التكبيرة تسمى تكبيرة الإحرام لأنه حرم عليك فعل كل شيء مخالف للصلاة ، لأنك دخلت في حضرة دائرة مناجاة الحق سبحانه وتعالى .

وقال أبو حمزة رحمه الله تعالى : (صليتِ خلف أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه الظهر ، فلما أراد أن يرفع يديه ليكبر لم يقدر أن يقول : الله أكبر

إجلالاً لاسم الله عز وجل ، وارتعدت جوارحه وفرائصه حتى سمعت قعقعة عظامه فهالني ذلك) .

وقيل للسيد الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه : (ما بالك تتغير عند التكبيرة الأولى في الفرائض ؟ فقال : أفتتح فريضتي بالصدق ، فمن يقول الله أكبر وفي قلبه شيء أكبر منه فقد كذب نفسه على لسانه) وقال أيضاً : (من لم يجمع قلبه على الحقيقة من ربه فسدت صلاته) .

فانظر أيها الساهي في الصلاة بين يدي من تقوم ومن تناجي ، واستح أن تناجي مولاك بقلب غافل ، وصدر مشحون بوساوس الشيطان وخبائثه ، أما تعلم أنه مطلع على سريرتك وناظر إلى قلبك وإنما يتقبل من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك وتواضعك وتضرّعك ؟! فعُدّه في صلاتك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فإن لم يحضر قلبك بما ذكرنا ولم تسكن جوارحك لقصور معرفتك بجلال الله تعالى فعالج قلبك فإنه انعقد إجماع العلماء على أنه لايكتسب لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ، وأما ما قمت به مع الغفلة ولو حكم بصحته ظاهراً لكن عند الله لا ثواب له ، فهو إلى الاستغفار أحوج بل إلى العقوبة أقرب.

فقول الله تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾[١٠٧] .

وقول النبي ﷺ للرجل الذي سأله : إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال له : « ينهاه ما يقول»[١٠٨] . المقصود بهما إقامة الصلاة على وجهها الأكمل .

---

[١٠٧] سورة العنكبوت الآية (٤٥) .

[١٠٨] أخرجه أحمد (٤٤٧/٢) ، عن أبي هريرة ، وصححه الهيثمي .

قال أبو طالب المكي رحمه الله : قال الله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ [١٠٩]. قيل : سكارى من حب الدنيا ، وقيل : من الاهتمام بها .

وروينا عن الله سبحانه وتعالى في الكتب السالفة أنه قال : (ليس كل مصلٍّ أتقبل صلاته ، إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على عبادي ، وأطعم الفقير الجائع لوجهي) . فمن الإقبال على الصلاة أن لا تعرف من على يمينك ، ولا من على شمالك من حسن القيام بين يدي القائم على كل نفس بما كسبت .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (إن الخشوع في الصلاة أن لا يعرف المصلي من على يمينه وشماله) .

وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى : (ما عرفت من على يميني ولا من على شمالي في الصلاة منذ أربعين سنة) .

قال بعض العارفين : (من كان في صلاته يشهد الغير عارٍ عن شهود الحق فلا يكون مناجياً ، لأن الحق لا يناجى في الصلاة بالألفاظ بل بالحضور، فالقائل الحمد لله بغير حضور مع الله بمجرد اللسان ، يقول الله عند ذلك حمدني لسان عبدي لا عبدي ، فإن حضر قال : حمدني عبدي المفروض عليه مناجاتي) .

وقال أحد العارفين أيضاً : فإذا كان الإنسان يقول الحمد لله والقلب في الدكان أو في الدار أو في عرض من الأعراض ، فمتى عرف من هذه صفته أنه يحمد الله ؟ كيف ذلك والقلب غافل بما هو عليه عمّا جرى به اللسان ؟! فإذا

---

(١٠٩) سورة النساء الآية (٤٣) .

وفقك الله وتريد أن يسمع الحق جل اسمه تلاوتك ، ويقول لك حمدني عبدي، فكن حاضر القلب ، وقم بين يديه بالإخلاص والتدبُّر) .

فإذا أتيت إلى الصلاة ففرغ قلبك من كل الشواغل الدنيوية .

قال أبو الدرداء رضيَ الله عنه : (من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ) . وكن مستحضراً هيبة مولاك متأملاً فيما تقرأه ملاحظاً عند كل خطاب كقراءة ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ أو كدعاء (رب اغفر لي) فإذا ركعت فلاحظ أن هذا الانحناء تواضع لعظمة الله، فإذا سجدت فاقصد بذلك السجود زيادة التذلل بين يديه . ولا تزال كذلك حاضر القلب حتى تسلم . فإذا كانت هذه صلاتك كانت مرجوة القبول إن شاء الله تعالى .

وحكي عن الامام زين العابدين رضي الله عنه أنه كان إذا توضأ اصفر لونه ، وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة . فقيل له : لماذا يعتريك ذلك عند الوضوء؟ فقال : ويحكم أتدرون بين يدي من أقوم ، ولمن أريد أن أناجي ؟

وكان سعيد ابن أبي يحيى التنوخي رحمه الله تعالى إذا صلى لم تنقطع دموعه من خديه على لحيته . قال بعضهم : (قلت لسعيد : يا أبا محمد ماهذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة ؟ فقال (ما قمت إلى الصلاة إلا مثلت لي جهنم) .

أسباب الحضور مع الله عز وجل :

قال الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبند رضي الله عنه : (يحصل للعبد الحضور في الصلاة بأكل الحلال ومراقبة الحق تعالى خارج الصلاة وعند الوضوء وتكبيرة الإحرام)اهـ فإذا قرأت ﴿ وجهت وجهي ﴾ تلاحظ أنك متوجه بكليتك إلى ملك الملوك عز وجل ملاحظا عظمته متأدبا بين يديه بالإجلال والتعظيم والهيبة ﴿ للذي فطر السموات والأرض ﴾ أي خلقهما وأوجدهما على غير مثال

سابق ﴿ حنيفاً ﴾ أي مائلاً عن كل دين مخالف لدين الإسلام ﴿ مسلماً ﴾ أي منقاداً لأوامر الله عز وجل ونواهيه ﴿ وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ﴾ أي صلاتي وجميع عباداتي ﴿ لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ﴾ وفي الحديث القدسي عنه صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ماسأل فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى : حمدني عبدي ، فإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنى علي عبدي ، فإذا قال مالك يوم الدين ـ قال : مجدّني عبدي ، فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين ، قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[110] .

فـ ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه وفي رواية الإسلام . و(قسمت الصلاة) أي الفاتحة ، فسميت صلاة لأنها أعظم أركانها فهي على حد (الحج عرفة)[111]

قال عبد الله الحداد : اعلم أن المحافظة علىالصلاة حُسْنُ الخشوع فيها وحضور القلب وتدبر القراءة وفهم معانيها واستشعار الخضوع والتواضع لله عند الركوع والسجود ، وامتلاء القلب بتعظيم الله عند التكبير والتسبيح وفي سائر أجزاء الصلاة ومجانبة الأفكار والخواطر الدنيوية والإعراض عن حديث النفس في ذلك ، بل يكون هم المصلي مقصوراً على إقامتها وتأديتها كما أمر الله تعالى .

---

[110] أخرجه البخاري في (خلق أفعال العباد) ص (١٨) وفي (القراء خلف الإمام) (١١) و (٧١) و(٧٢) و (٧٣) و (٧٥) و (٧٦) و (٧٧) و (٧٩) و (٢٦١) ومسلم (٢/٩و١٠) ، وأبو داود (٨٢١) ، والترمذي (٢٩٥٣) ، وابن ماجه (٨٣٨) ، و(٣٧٨٤) ، وابن خزيمة (٤٨٩) و(٤٩٠) و (٥٠٢) ، والنسائي (٢/١٣٥) ، ومالك (٧٤) ، وأحمد (٢/٢٤١ و ٢٥٠ و٢٧٨ و٢٨٥ و٢٨٦ و٤٥٧ و٤٧٨) والحميدي (٩٧٣) و (٩٧٤) .

[111] أخرجه أبو داود (١٩٤٩) ، والترمذي (٨٨٩) و (٨٩٠) ، والنسائي (٥/٢٥٦) و (٥/٢٦٤) وابن ماجه (٣٠١٥) ، وأحمد (٤/٣٠٩ و٣٣٥) ، والدارمي (١٨٩٤) ، والحميدي (٨٩٩) ، وعبد بن حميد (٣١٠) ، والبيهقي (٥/١٥٢ و١٧٣) ، والحاكم (٢/٢٧٨) .

وقال أحمد بن عجيبة رحمه الله تعالى في شرح الحكم العطائية عند قول المصنف : (وليكن همك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة) : السر في تحجير الصلاة عنك في بعض الأوقات لتشتاق النفس إليها وترتاح بها فيحصل فيها الخشوع والحضور وقرة العين بخلاف ماإذا كانت دائمة فيها ، فلا تتعشق إليها بل ربما تمل فتوقعها على غير تمام ، والمقصود منك حركة قلبك لا حركة جسمك كما قال عليه الصلاة والسلام : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[١١١]

ليس الشأن حركة الأشباح إنما الشأن خضوع الأرواح .

فالسر في تحجير الصلاة عنك في بعض الأوقات أن يكون همك إقامة الصلاة وهو اتقانها والقيام بحقوقها الظاهرة والباطنة لا وجود الصلاة من غير إقامة فهي ميتة خاوية فليس كل مصل مقيماً .

وقال عليه الصلاة والسلام : « . . . وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر »[١١٢]

وقال عليه الصلاة والسلام : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً »[١١٣] فالمصلون كثير ، والمقيمون قليل ، وأهل الأشباح كثير ، وأهل القلوب قليل . قال ابن عطاء رحمه الله : (إقامة الصلاة حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل ولا يختلج بسر سواه) .

قال أحد العارفين : (كما يحرم عليك في الصلاة التوجه لغير القبلة، كذلك يحرم عليك التوجه بقلبك لغير الله تعالى من دار وأهل ودكان ومال وكما يحرم عليك أن تتلو غير كلام الله تعالى في صلاتك كذلك يحرم عليك أن تناجي في قلبك غيره فإنه لا يقبل لك من صلاتك إلا ما عقلت) .

---

[١١١] أخرجه مسلم (٢٥٦٤) واللفظ له ، وابن ماجه (٤١٤٣) وأحمد (٥٣٩/٢ و ٢٨٤ و ٢٨٥) وفي "الزهد" ص (٥٩) وأبو نعيم في "الحلية " (٩٨/٤) و (١٢٤/٧) والبغوي في (شرح السنة) (٤١٥٠) عن أبي هريرة .

[١١٢] تقدم تخريجه .

[١١٣] تقدم تخريجه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلٌ عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة »[114]

وقال عليه الصلاة والسلام : « من توضأ مثل وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر الله له ماتقدم من ذنبه »[115] ، والمراد بالغفران غفران الصغائر دون الكبائر ومعنى (لايحدث فيهما نفسه) أي لا يحدثها بشيء من أمور الدنيا ، وما لا يتعلق بالصلاة ولو عرض له حديث فأعرض عنه عفي عن ذلك ، وحصلت له هذه الفضيلة ، لأن هذا ليس من فعله، وقد عفي لهذه الأمة عن الخواطر التي تعرض ولا تستقر .

أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه عليهم الصلاة والسلام قال : (إذا دخلت الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع ، ومن عينيك الدموع) وحكي أن عصام بن يوسف أتى إلى مجلس حاتم الأصم رضي الله عنه فأراد الاعتراض عليه فقال : يا أبا عبد الرحمن كيف تصلي ؟ فحوَّل حاتم وجهه إلى عصام وقال له : إذا جاء وقت الصلاة قمت فأتوضأ وضوءاً ظاهراً ووضوءاً باطناً ، فقال عصام : كيف الوضوء الظاهر والباطن ؟ فقال: أمّا الوضوء الظاهر فأغسل الأعضاء بالماء ، وأمّا الوضوء الباطن فأغسلهما بسبعة أشياء : بالتوبة والندامة ، وترك حب الدنيا ، وثناء الخلق ، وحب الجاه ، والغلّ ، والحسد . ثم أذهب إلى المسجد ، فأبسط الأعضاء فأرى الكعبة فأقوم بين حاجتي ، والله ناظري والجنة عن يميني ، والنار عن شمالي ، وملك الموت خلف ظهري ، وكأني واضع قدمي على الصراط و أظن أن هذه الصلاة آخر صلاة أصليها ، ثم أنوي وأكبر بالاحسان ، وأقرأ بالتفكر ، وأركع بالتواضع ، واسجد بالتضّرع ،

---

(114) أخرجه مسلم (١٤٤/١ و ١٤٥) واللفظ له، وأبو داود (١٦٩) و (٩٠٦) ، والنسائي (٩٥/١)، وابن خزيمة (٢٢٢) و (٢٢٣) ، وأحمد (١٤٥/٤ و ١٥٣) عن عقبة بن عامر الجهني .

(115) أخرجه البخاري (٥١/١) و (٥٢/١) و (٤٠/٣) واللفظ له ، ومسلم (١٤١/١)، وأبو داود (١٠٦) ، والنسائي (٦٤/١) و (٦٥ و٨٠) ، وأحمد (٥٩/١ و ٦٠) ، والدارمي (٦٩٩) ، وابن خزيمة (٣) و (١٥٨) ، وابن حبان (١٠٥٨) و (١٠٦٠) ، والبيهقي (٤٨/١ و ٥٦ و ٥٧ و٥٨)، والبغوي (٢٢١) ، وعبد الرزاق (١٣٩) ، والطبراني .

وأتشهد بالرجاء ، وأسلم بالإخلاص ، فهذه صلاتي منذ ثلاثين سنة ، فقال له عصام : ((هذا شيء لا يقدر عليه غيرك)) وبكى بكاءً شديداً .

فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم في صلاتهم خاشعون .

من أقوال العارفين بالله في الحضور مع الله عز وجل :

قال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى : إن الصلاة ما شرعت إلا لحضور العبد فيها بقلبه مع ربه ، وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلىغير الصلاة واعلم أن الالتفات بالقلب أعظم من الالتفات بالعنق . وكل ماجاء في الوعيد من الالتفات، المراد به التفات القلب إلى غير الصلاة ، وقد قال بهذا جماعة من العلماء لأنهم يقولون : إن دوام الحضور في الصلاة فرض واجب وهو عدم الالتفات . والجمهور علىأن ذلك شرط كمال واعلم أن الشيطان حريص على أن يشغل العبد عن صلاته ، حتى أنه يفتح له عند قيامه إلى الصلاة من الحوائج، ويذكره من الأمور التي تهمه في دنياه مالم يكن يخطر له قبل الصلاة على بال، وقَصْدُ اللعين بذلك أن يشغله في صلاته عن الإقبال على الله والحضور معه فيها، فإذا تحقق للشيطان قصده صار إقبال المصلي عن الله وربما خرج من صلاته مأزوراً آثماً .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : فإذا التفت القلب إلى غير الصلاة، فذكره باطلاع الله عليه ، وبقبح التهاون بالمناجى ، والزم الخشوع للقلب ، فإن الخلاص من الالتفات ظاهراً وباطناً ثمرة الخشوع) وقال أيضاً : (أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة ، وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتاً بذنب ظاهر أو باطن ، فترد صلاتك في وجهك وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله !!) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا أحسن الرجل الصلاة فـأتم ركوعهـا وسجودها قالت الصلاة : حفظك الله كما حفظتني ، فترفع . وإذا أسـاء الصلاة فلم يتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة : ضيعك الله كما ضيعتني ، فتُلَفُّ كما يُلَفُّ الثوب الخلق فيضرب بها وجهه »[116] .

قال عبيد الله أحرار : إني مذ كنت دون البلوغ وأنـا فـي الحضـور مـع الله تعالى حتى كنت أذهب إلى المكتب وأقرأ عند الشـيخ وقلبـي معلـق مـع اللـه تعالى ، وكنت أحسب أن جميع الناس كذلك ولقـد خرجـت زمـان الشـتاء إلـى الصحراء فغاصت قدماي في الطين، وكان الوقت شديد البرودة ، فاهتممت بنزع قدمي فغفلت عن الله تعـالى بهـذا المقـدار ، وكـان ثـم رجـل يحـرث علـى بقـر فجعلت ألوم نفسي وأقول لها : انظري إلى هذا الحرّاث مع ما هو عليه من العمل لم يغفل عن الله عز وجل . وقال أيضاً : ((ليس معنى حفظ القلـب مـن الخـاطر أن لا يجيء للسالك خاطر أصلاً ، بل أن لا يزاحم الخـاطر حضـوره كالحشـيش إذا سقط على الماء الجاري، فإنه لا يمنـع جريانـه)[117] وقـال : (سـألت عـلاء الدين الغجدواني ، هل يمكن أن لا يجيء الخاطر قط ؟ قال : لا بل تـارة يجـيء وتارة لا يجيء ، كقولك للآخر لاتكن مغموماً ، تريد لا تدم على غمك لا أن لا يجيئك غم. وانتفاء الخاطر متعسر بل متعذر ، فإني حرسـت قلبـي مـن الخـواطـر عشرين سنة ، ثم جاءت، ولكن ما استقرت) وقال بعضهـم : لا عـبرة للخواطـر إذا لم تتمكن وتصير سداً في مجاري الفيض .

وقال محمد بهاء الدين شاه نقشبند رضي الله عنه : السالكون في دفع الخواطر الشيطانية والنفسانية متفاوتون ، فمنهـم مـن يراهـا فيدفعهـا عنـه قبـل أن تصـل إليـه ، ومنهـم مـن يطردهـا عنـه بعـد وصولهـا إليـه ولكـن قبـل أن تسـتقر وتستحكم ، ومنهم بعـد أن تصـل إليـه وتتمكـن ويسـعى فـي صرفهـا ، وهـذا لا

---

[116] أخرجه أبو داود الطيالسي (٥٨٥) عن عبادة بن الصامت .

[117] أي أن المراد من حفظ القلب من الخواطر ، عدم ثباتها عند مرورها .

يحدي نفعاً تاماً . ولما جاء رضي الله عنه من الحج قيل له : حدثنا بأعجب ما رأيت في سفرك هذا ، فقال : لقيت شاباً في سوق منى قد اشترى وباع بخمسين ألف دينار ، وما غفل عن الله طرفة عين ، ولقد خرج مني الدم غيرة منه .

وقال بعضهم : ينبغي للسالك العاقل أن يحفظ النفس عن الغفلة عنددخوله وخروجه ، ليكون قلبه حاضراً مع الله تعالى في جميع الأنفاس ، لأن كل نفس يدخل ويخرج بالحضور فهو حي موصول بالله تعالى ، وكل نفس يدخل ويخرج بالغفلة ، فهو ميت مقطوع عن الله تعالى .

وروي عن بعضهم أنه كان في أول رياضته إذا مر به خاطر غير رباني ضرب نفسه بقضيب فربما كان يكسر على نفسه في اليوم الواحد جملة من القضبان، حتى استقام له خاطره بدوام الاقبال على مولاه .

وحكي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه كان نائماً في مسجد، وواحد ممن يلوذ به قائم يصلي ، فرأى بعض من كان هناك من أهل الفضل شيطانين خارج المسجد وأحدهما يقول لصاحبه : ألا تدخل فتوسوس لهذا المصلي؟ فقال الآخر : يحرقني نفس هذا النائم . فهو لم يعبأ بهذا المصلي ولم يقدر على الدخول إلى المسجد خيفة من نَفَسْ إبراهيم لئلا يحرقه ، وماذاك إلا لحضوره مع ربه في كل حال من أحواله وأزمانه .

وروي أن سعدون المجنون كان يكتب في كفه : (الله) فقال له السري السقطي رضي الله عنهما : ((ياسعدون ما تصنع ؟)) فقال : ((أنا أحب الله تعالى، وقد كتبت اسم ربي في قلبي حتى لا يسكنه غيره ، وكتبته على لساني حتى لا يذكر غيره ، والآن كتبته على كفي حتىأنظر إليه بعيني فيكون نظري مشغولاً به)) .

وكان محمد بهاء الدين نقشبند رضي الله عنه إذا اجتمع مع إخوانه للطعام يوصيهم بالمحافظة على الحضور ، ويؤكد عليهم في ذلك أشد التأكيد، وكلما أراد أحدهم أن يتناول لقمة مع الغفلة ينبهه عليها ويمنعه من أكلها ويقول: ((صدور الأعمال الصالحة إنما هو من الطعام الحلال إذا كان مع الحضور ، ولا يحصل للعبد الحضور في جميع الأوقات لاسيما أوقات الصلوات إلا بهذا)) .

وقال الإمام الشعراني رضي الله عنه : ((واعلم يا أخي أنه ما واظب أحد على الحضور مع الله تعالى حال أكله وشربه إلا أورثه الله القناعة والزهد في الدنيا وكفاه شر نفسه ، فاعمل يا أخي على تحصيل الحضور مع ربك حال أكلك وشربك ، فمن واظب على ذلك صار خلقاً له ، وما رأيت ألذ من الأكل حال حضور القلب مع الله ، ولا أقل لذة من الأكل غافلاً)) .

وقال الإمام علي الخوّاص رضي الله عنه : ((ما أدمن أحدٌ الحضور مع الله إلا قلّ أكله وصار تكفيه اللقمة واللقمتان)) .

وعدم الغفلة عن الله تعالى كما تسمى حضوراً كذلك تسمى شهوداً ووصولاً ووجوداً .

العلاج لإيجاد الخشوع :

يتساءل بعض الناس أحياناً فيقولون : إننا نشتكي من عدم الخشوع وحضور القلب في الصلاة فما هو العلاج لايجاد الخشوع ؟ وماهي الطريقة لتحصيله ؟ والجواب على هذا نقول : لا يحصل ولا يتم الخشوع في الصلاة إلا بالأخذ بالطريقتين :

الأولى : أن يتعلم الإنسان فقه الصلاة ويعرف أركانها وشروطها ومبطلاتها وسننها وجميع أحكامها، وأن يتدارس تلك الأحكام مع بقية إخوانه

المؤمنين، فمتى عرف ماهو المطلوب عند كل جزء من الصلاة من الواجبات والأركان والسنن ، اشتغل عقله فيها ، وفكّر به فيكون سبباً مهماً لحضور القلب.

الثانية : أن يقوم في بعض الليالي فيصلي مثلاً أربع ركعات أو أكثر وحده وليس في جماعة فقد قال تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾[118] فيفتتح صلاته بركعتين خفيفتين تطبيقاً للسنة فعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين »[119] .

فمن فعل هذين الأمرين فإنه سيحضر قلبه وذهنه في صلاته بإذن الله تعالى ويزيد على ذلك بأن يلتجئ إلى الله عز وجل بالدعاء ويسأله أن يرزقه حضور القلب . نسأل الله تعالى التوفيق والهداية .

من أسباب الخشوع في الصلاة :

النظر في موضع سجوده لأنه أقرب إلى الخشوع ، نص عليه حجة الإسلام الإمام الغزالي رضي الله عنه ، ومنها تغميض العينين ، نص عليه حجة الإسلام أيضاً واختاره النووي في منهاجه .

وأفتى العز بن عبد السلام بأنه إذا كان عدم ذلك يشوش عليه خشوعه أو حضور قلبه مع ربه تعالى ، فتغميض العينين أولى .

ومنها وضع يديه تحت ثديه الأيسر مائلاً إلى الجنب ، ومنها صلاته في محل ضيق مظلم ، نص عليه الإمام الغزالي بشرط أن يرى موضع سجوده لأنه أجمع للخاطر وإلا كره .

---

[118] سورة الإسراء الآية (٧٩).

[119] أخرجه مسلم (١٨٤/٢) ، وأبو داود (١٣٢٣) ، والترمذي (٢٦٨) ، وأحمد (٢٣٢/٢ و٢٧٨ و٣٩٩) ، وابن خزيمة (١١٥٠) .

ومنها أن يلاحظ عظمة الله تعالى عند تكبيرة الإحرام ، وأنه واقف بين يديه يناجيه بقلبه حقيقة ، ومنها أن يجعل له سترة في صلاته ، وشرطها أن يكون بينه وبينها مقدار سجوده .

قال قاسم ، أحد أصحاب عبيد الله أحرار : (إني لأحفظ قلبي من الخواطر من طلوع الفجر إلى الضحى بحيث لا يكون لقوة المخيلة أثر) .

وقال بعض العارفين : ((حرست قلبي عشر ليالٍ فحرسني قلبي عشرين سنة)) .

وقال أبو بكر الكتاني : ((كنت بواباً على باب قلبي أربعين سنة ، وما فتحته لغير الله تعالى ، حتى صار قلبي لا يعرف غير الله عز وجل)) .

وقال أبو الحسن الخرقاني : ((اليوم لي أربعون سنة ، والله ينظر إلى قلبي لا يرى فيه غيره ، مابقي فيَّ لغير الله عز وجل شيء ، ولا في صدري لغيره قرار)).

وقال يحيى بن معاذ : ((من أسباب الخشوع في الصلاة : صحبة الصالحين ، وكثرة ذكر الله عز وجل ، وتدبر القرآن ، والدعاء وقت السحر ، وقيام الليل)) .

تغميض العينين :

تغميض العينين في الصلاة مستحب ، لأنه يجمع القلب ويساعد على الخشوع ، والتدبر في القراءة ، والتأمل في معاني القرآن والأذكار ، وكل ما أعان على الطاعة فهو مستحب، وقد نص على ذلك العلماء والمحققون ، منهم الإمام النووي رحمه الله تعالى حيث قال : ((أمّا تغميض العينين . . . المختار

أنه لا يكره إذا لم يخف ضراراً ، لأنه يجمع الخشوع وحضور القلب ، ويمنع من إرسال النظر ، وتفريق الذهن))[120]

وقال بعضهم : ((إن كان تفتيح العين لا يخل بالخشوع فهو أفضل، وإن كان يحول بينه وبين الخشوع ، لما في قبلته من الزخرفة والتزويق أو غيره مما يشوش عليه قلبه ، فهنالك لا يكره التغميض قطعاً ، والقول باستحبابه في هذا الحال أقرب إلى أصول الشرع ومقاصده من القول بالكراهة)) .

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى : ((أجمع العلماء على استحباب الخشوع والخضوع في الصلاة ، وغض البصر عما يلهي ، وكراهية الالتفات في الصلاة وتقريب نظره ، وقصره على ما بين يديه))[121] .

وقال الحافظ ابن المنذر رحمه الله تعالى : « لقد كان من تحفُّظِ أهل العلم في صلاتهم ، وحفظهم لأبصارهم أن قال بعضهم : إن لم يستطع الخشوع غمض عينيه »[122] .

وكان الحسن رضي الله عنه يقول : ((يضع بصره بحذاء المكان الذي يسجد فيه ، فإن لم يستطع فليغمض عينيه)).

وقال ابن سيرين : « كان يؤمر ـ أي المصلي ـ إذا كان يكثر الالتفات في الصلاة أن يغمض عينيه » .

---

[120] شرح المهذب (٣١٤/٣) ، وابن قيم الجوزية في زاد المعاد طبعة الحلبي .

[121] شرح المهذب (٣١٤/٣) ، وابن قيم الجوزية في زاد المعاد طبعة الحلبي

[122] من كتابه الأوسط (٢٤٧/٣) .

الخشوع في الصلاة :

الحمد لله الذي جعل الخشوع في الصلاة سبب الفلاح وثمرة الإيمان ونتيجة اليقين ، القائل في كتابه العزيز ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾[١٢٣] . قال بعض المفسرين : أي خاشعين ، والصلاة الوسطى هي صلاة العصر على الراجح ، لقوله ﷺ يوم الأحزاب : «شغلونا عن الصلاة الوسطى ، صلاة العصر ، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً»[١٢٤] ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذي قال : « ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها ، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، مالم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كلّه»[١٢٥] ، وعلى آله وأصحابه الذين بلغوا من الخشوع منتهاه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

وقال ﷺ : « أول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعاً»[١٢٦] .

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه : ((يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه خاشعاً)) وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى : ((لقد أدركنا الناس إذا دخل أحدهم المسجد ارتعد ، وتغير لونه من شدة هيبة الله تعالى ، حتى لا يعي شيئاً من أمور الدنيا ، يذهل عن كل شيء)) .

اعلم أن الخشوع في الصلاة سنة مؤكدة حتى قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى : ((من لم يخشع فسدت صلاته ، لأن الخشوع هو انكسار القلب،

---

[١٢٣] سورة البقرة الآية (٢٣٨) .

[١٢٤] أخرجه مسلم (١١٢/٢) ، والنسائي في الكبرى (٣٤٢) ، وابن خزيمة (١٣٣٧) ، وأحمد (٨١/١،١١٣،١٢٦،١٤٦،١٥١) .

[١٢٥] أخرجه مسلم (١٤٢/١) عن عثمان بن عفان .

[١٢٦] أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص٤٢ والنسائي في الكبرى (الورقة ٧٧ب) ، وأحمد (١٢٨/٣،١٩٩،١٨٥).

وإخباته ، وتواضعه ، وذله ، ولين الجانب ، وكف الجوارح ، وحسن السمت، والإقبال عليها)) .

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله: ((أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها)) .

وقال الحسن البصري رضي الله عنه : ((كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع منهاإلى الثواب)) .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : ((حضور القلب شرط في صحة الصلاة ، والحضور هو حضور القلب ، وإصغاؤه وصفاء الفهم ، وإفراده عما سواه)) .

وحكي أنه ضاع لرجل شيء من متاعه ، ولم يدر من استعاره منه ، فلما دخل في الصلاة تذكر من استعاره منه ، فلما فرغ من صلاته قال لغلامه: ((اذهب إلى فلان واسترد منه المتاع الفلاني)) ، فقال له الغلام : ((متى تذكرته يا مولاي؟)) فقال : ((تذكرته حين كنت في الصلاة))، فقال له : ((يا مولاي، كنت في صلاتك طالباً لمتاعك ، لا طالباً للرب الخالق الرزاق ؟)) فبلغ من بركة وخشوع هذا الغلام في الصلاة ، واعتقاده بها أن أعتقه مولاه من حسن موعظته له، فيا له من غلامٍ ماأنوره وماأفقهه في أمور دينه !!

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته مالم يلتفت ، فإذا التفت انصرف عنه »[١٢٧] .

وقال أحد العارفين : ((الالتفات بالقلب أعظم من الالتفات بالعنق ، وهذا الوعيد إنما هو في حق من يلتفت بقلبه . على أن الالتفات بالعنق لا يكون إلا من الالتفات بالقلب)) .

---

[١٢٧] أخرجه أبو داود (٩٠٩) ، والنسائي (٨/٣) ، وأحمد (١٧٢/٥) ، والدارمي (١٤٣٠) ، وابن خزيمة (٨٤١) و (٤٨٢) ، وحسّنه المنذري .

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال : « هو اختلاس يختلسه[١٢٨] الشيطان من صلاة العبد»[١٢٩] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « قم يا بلال فأرحنا بالصلاة »[١٣٠] .

قال أحد العارفين في شرح هذا الحديث : أي اكشف يا بلال ستر التقريب عن الحبيب بالأذان والإقامة ، فالستر الأول يرفع بالأذان ، فهو كالإذن بالدخول . والستر الثاني يُرفع بالإقامة ، فإذا كُشف ذلك الحجاب ، لاح للمتقي قرة العين ، فيكون قد دخل في دائرة المناجاة فيناجي ربه حينئذٍ .

وقال بعض العلماء : ((كيف لا يبكي على نفسه من دخل في الصلاة على قرة العين ثم خرج منها بلا فائدة ؟! فلا تقنع أيها العبد بالحركات فقط ، لأنها إذا لم تكن بخشوع فهي كاللعب ، فإن الله تعالى لا ينظر إلى صور الأعمال، بل ينظر إلى القلوب والنيات ، فاطلب قلبك قبل طلب ماء الوضوء)).

وقال أبو العباس المرسي رضي الله عنه : ((كل موضع ذكر فيه المصلون في موضع المدح ، فإنما جاء لمن أقام الصلاة إما بلفظ الإقامة ، أو بمعنى يرجع إليها)).

قال الله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ﴾[١٣١] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ﴾[١٣٢] .

---

[١٢٨] يختلسه : أي يخطفه

[١٢٩] أخرجه البخاري (٣٩١/١) وأبو داود (٩١٠) ، والترمذي (٥٩٠) ، والنسائي (٨/٣) وأحمد (١٠٦/٦) .

[١٣٠] تقدم تخريجه .

[١٣١] سورة البقرة الآية (٣) .

وقال عز وجل أيضاً : ﴿ وإقام الصلاة ﴾[١٣٣] .

وقال أيضاً : ﴿ والمقيمي الصلاة ﴾[١٣٤] .

ولما ذكر المصلين بالغفلة قال سبحانه وتعالى : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾[١٣٥] ولم يقل : فويل للمقيمين الصلاة .

واعلم أن الخشوع في الصلاة على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : خشوع خوف وانكسار وإذلال ، وهو للعباد والزهّاد .

المرتبة الثانية : خشوع تعظيم وهيبة وإجلال ، وهو للمريدين السالكين.

المرتبة الثالثة : خشوع فرح وسرور وإقبال ، وهو للواصلين من العارفين. ويسمى هذا المقام قرة العين ، وإن قرة العين في الصلاة متفاوتة على قدر التفاوت في المعرفة والشهود ، والمعرفة على قدر التخلية والتحلية .

فمعرفته عليه الصلاة والسلام لا يوازيها معرفة ، وشهوده لا يقرب منه شهود ولكن قد تحصل المشاركة في مطلق الشهود من حيث هو ، وتكون القرة على قدره ، فإذاً لورثته قسط ونصيب من قرة العين على قدر صفاء مشربهم، وتفرغ قلوبهم وأسرارهم . فالعلماء ورثة ، فمن جملة ما ورثوه قسط من قرة العين في الصلاة ، ولذلك كانوا يغيبون فيها ، ويجدون من النعيم واللذة فيها ما تعجز عنه العبارة .

---

[١٣٢] سورة إبراهيم الآية (٤٠) .

[١٣٣] سورة الأنبياء الآية (٧٣) .

[١٣٤] سورة الحج الآية (٣٥) ..

[١٣٥] سورة الماعون الآية (٤-٥).

قال عليه الصلاة والسلام : « إن الرجل لينصرف وما كتب له عُشر صلاته ، تُسعها ، ثُمنها ، سُبعها ، سُدسها ، خُمسها ، رُبعها ، ثُلثها ، نِصفها»[١٣٦] .

وكان سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه . فقيل له : مالك ياأمير المؤمنين ؟ فيقول: ((جاء وقت أمانة عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملتها أنا ، فلا أدري هل أوفي بآدابها أم لا ؟)) .

وكان سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كثير الخشوع ، إذا توجه في الصلاة كأنه جزع لا يحس بشيء ، ولا يتحرك حتىيقع عليه الطير ، ورمي بحجر من المنجنيق وهو يصلي في أيام محاصرته فلم يقطع صلاته . ومرة بينما هو ساجد ، إذ صبّوا على وجهه ورأسه ماءً حاراً فكُشِط وجهه وهو لا يشعر ، فلما فرغ من صلاته وصحا ، قال : ((ماهذا ؟)) فأخبروه ، فقال : ((غفر الله لهم مافعلوا)). ومكث زماناً يتألم من وجهه .

وكان سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذا قام إلى الصلاة كأنه ثوب ملقيً وكان إذا سمع أهله يقولون : ((لا تتكلموا فإن عبد الله يصلي)) يقول لهم : ((تحدثوا ماشئتم ، فإني لست أسمع حديثكم وأنا في الصلاة)) .

وقال سيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه : ((ماصليت صلاة فحدثت نفسي بغيرها ، حتى أنفتل عنها)) .

---

[١٣٦] أخرجه أبو داود (٧٩٦) ، والنسائي في الكبرى (٥٢٥) ، وفي التحفة (٤٧٨/٧ و ٤٨٤) ، وأحمد (٢٦٤/٤ و ٣١٩ و٣٢١) ، والبيهقي (٢٨١/٢) ، والحميدي (١٤٥) والطيالسي (٦٥٠) وحسّنه ابن حبان (٨٨١) ، وحسنه المنذري ، وصححه العراقي ، ورمز السيوطي لصحته .

وكان يحيى بن وثّاب إذا صلى مكث ماشاء الله ، تعرف عليه كآبة الصلاة .

وكان إبراهيم النخعي يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض .

وسئل أبو سعيد الخرازَ رضي الله عنه : كيف الدخول في الصلاة ؟ فقال : ((هو أن تقبل على الله تعالى إقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدي الله تعالى ليس بينك وبينه ترجمان ، وهو مقبل عليك ، وأنت تناجيه ، وتعلم بين يدي من أنت واقف فإنه الملك العظيم)) .

ويعين على الخشوع في الصلاة الزهد في الدنيا ، وهذا هو الدواء الكبير، إذ محال أن تكون عندك بنت إبليس ولا يزورها أبوها ، فلا يتأتى الخلاص من الخواطر مادامت في القلب ، وقليلها هو كثيرها ، فمن بقيت فيه بقية منها تأتيه الخواطر ، ومثال ذلك كشجرة عندك في بستان يجتمع عليها الطيور ويهولونك بأصواتهم ، فكلما شوشتهم رجعوا ، فلا ينقطعون عنك أبداً حتى تقطع تلك الشجرة ، فإذا قطعتها استرحت من أصواتهم ، وكذلك الدنيا ، مادامت في القلب وهو معمور بها، لا يسلم القلب من خواطرها حتى يخرج عنها ، وحينئذٍ يستريح من مساويها .

قال الإمام محمد بن علي الترمذي الحكيم رضي الله عنه : ((دعا الله الموحدين إلى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم ، وهيأ لهم فيها أنواع الضيافة، لينال العبد من كل قول وفعل شيئاً من عطاياه ، فالأفعال كالأطعمة، والأقوال كالأشربة ، وهي عرس الموحدين هيأها رب العالمين لأهل رحمته كل يوم خمس مرات ، حتى لا يبقى عليهم دنس من الأغيار)) .

فلا يزال المصلي يناجي ربه ويطلب قربه حتى تتمكن المحبة من القلب، والإقبال على الرب ، فتصفو المحبة من كدر الجفا ، ويتصل المحب مع حبيبه في محل الصفا . وثبت في الحديث الصحيح عن مطرف عن أبيه رضي الله

عنهما قال : ((رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء))[137] .

وكان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا قامَ إلى الصلاة كأنه عود مقطوع لما يعتريه من الخشوع .

وكان سيدنا عمر رضي الله عنه إذا قام إلى الصلاة ترتعد فرائصه وتصطك أسنانه ، فقيل له في ذلك . فقال : ((حان وقت أداء الأمانة وقضاء الفريضة، ولاأدري كيف أؤديها)).

وقال رضي الله عنه أيضاً : ((إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام ، وما أكمل لله صلاة)) . قيل : وكيف ذلك ؟ قال: ((لايتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها)) .

وإن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه ، وواجهه بوجهه، وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون بصلاته ، ويؤمنون على دعائه . وإن المصلي لينشر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ، ويناديه منادٍ: لو علم المناجي من يناجي ماانفتل ، وإن أبواب السماء تفتح للمصلين ، وإن الله تعالى يباهي ملائكته بصفوف المصلين .

وفي التوراة مكتوب : (يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يديَّ مصلياً باكياً ، فأنا الله الذي اقتربت من قلبك) .

وقال بعضهم : قُدِّم أبو عمرو بن العلاء للإمامة فقال : لا أصلح ، فلما ألحوا عليه . كبّر فغشي عليه ، فقدّموا إماماً آخر ، فلما أفاق سئل عن ذلك فقال: ((لما قلت : استووا ، هتف بي هاتف : هل استويت أنت مع الله قط؟)).

---

[137] رواه أبو داود (١/٩٠٤) .

وكان مسلم بن يسار رحمه الله يصلي ذات يوم في مسجد البصرة ، فوقعت خلفه اسطوانة معقود بناؤها على أربع طابقات ، فتسامع أهل السوق فدخلوا المسجد وهو يصلي كأنه وتد !! وما انفتل من صلاته !! فلما فرغ جاءه الناس يهنونه ، فقال : ((على أي شيء تهنوني ؟)) قالوا : وقعت هذه الاسطوانة العظيمة وراءك فسلِمت منها قَال : ((متى وقعت ؟)) قالوا : وأنت تصلي !! قال : ((ما شعرت بها !!)) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من توضأ فأحسن وضوءه ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه »[١٣٨]

وقال سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه : ((صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر فلما سلم نادى رجلاً كان في آخر الصفوف **فقال** : « يا فلان ألا تتقي الله ، ألا تنظر كيف تصلي ، إن أحدكم إذا قام يصلي إنما يقوم يناجي ربه ، فلينظر كيف يناجيه ، إنكم ترون أني لا أراكم ، إني والله لأرى من خلف ظهري كما أرى من بين يديَّ »)) [١٣٩] .

وقال أحد العارفين : ((شرط من يناجي ربه أن يشاهده ، ومتى تحدث في صلاته مع غير الله فما هو المصلي الذي يناجي ربه ويشاهده)) .

وقال ابن بطّال : ((مناجاة المصلي ربه عبارة عن إحضار القلب والخشوع في الصلاة)) .

وقال القاضي عياض : ((هي إخلاص القلب ، وتفريغ السر بذكره وتحميده وتلاوة كتابه في الصلاة)) .

---

[١٣٨] أخرجه أبو داود (٩٠٥) ، وأحمد (٤/١١٧) ، وعبد بن حميد (٢٨٠) ، والطبراني (٥/٥٢٤٢ و٥٢٤٤) عن زيد بن خالد الجهني .

[١٣٩] أخرجه مسلم (٢/ ٢٧) ، والنسائي (٢/١١٨) ، وابن خزيمة (٤٧٤) و (٦٦٤) .

وحكي أيضاً عن الإمام زين العابدين رضي الله عنه أنه كان في غزوة فأصابته نشّابة بقيت نصلتها في رجله ، فجيء بالحجام ليخرج ذلك من رجله ، فكان يؤلمه ذلك ألماً شديداً فقالت زوجته : ((اتركوه ، متى دخل في الصلاة فأخرجوها منه)) . فلما دخل زين العابدين في الصلاة أُحضر الحجام وشق رجله وأخرج النصلة منها وانصرف ولم يدر بذلك زين العابدين ، ولا أحس به !! فياله من مخدِّرٍ ما أفعله وماأعظمه !! فهو أبلغ من بنج الأطباء !! فلماأتم زين العابدين صلاته أحسّ بالألم فقال : ((ماهذا الوجع الذي أجده ؟)) فأخبروه بما فعلوه . فقال : ((والله لم أشعر بذلك !!)) وهذا من تمام خشوعه في الصلاة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من صلى الصلوات لوقتها ، وأسبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها ، خرجت وهي بيضاء مسفرة ، تقول : حفظك الله كما حفظتني ، ومن صلاها لغير وقتها ، ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا سجودها ، خرجت وهي سوداء مظلمة ، تقول : ضيعك الله كما ضيعتني ، حتى إذا كانت حيث شاء الله لُفّت كما يُلَفُّ الثوب الخَلَق ، ثم ضرب بها وجهه »[١٤٠] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته، لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها »[١٤١] .

وقال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما : ((إقامة الصلاة تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها))[١٤٢] .

---

[١٤٠] أخرجه الطبراني في الأوسط (٣١١٧) و (٧٤٦٤) عن أنس .

[١٤١] أخرجه أحمد (٥/٣١٠) والدارمي (١٣٣٤) ، وابن خزيمة (٦٦٣) ، والبيهقي (٢/٣٨٥ و٣٨٦) عن أبي قتادة ، وصححه الحاكم (١/٢٢٩) ، ووافقه الذهبي ، ورمز السيوطي لصحته ، وحسنه ابن حبان (١٨٨٨) ، وأورده الهيثمي في ((المجمع)) (٢/١٢٠)

[١٤٢] رواه ابن جرير (٢٨٣) عن ابن عباس موقوفاً عليه .

ورأى رسول الله ﷺ رجلاً لا يتم ركوعه ، وينقر في سجوده وهو يصلي فقال : « لو مات هذا على حاله هذه مات على غير ملة محمد »[١٤٣] .

وقد قال رسول الله ﷺ : « أول ما يحاسب به العبد يوم القايمة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله »[١٤٤] .

وقال ﷺ : « إن لله ملكاً ينادي عند كل صلاة يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها فأطفؤوها »[١٤٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أريتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا »[١٤٦] أي الوسخ وإذا كانت هذه منزلة الصلاة من الدين، فهل ينبغي للمؤمن أن يهتم بغيرها أكثر مما يهتم بها ؟!

ولكن ما الفائدة وقد تشعبت بنا الهموم في أمور الدنيا ، وعز الخلاص منها ، فما لنا إلا أن نستعمل ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون﴾[١٤٧]. وذلك بأن نقف قبل الدخول في الصلاة ساعة نتذكر فيها الموت وأننا محشورون من قبورنا ، واقفون غداً بين يدي ربنا تبارك وتعالى ، وأول ما يسألنا عن صلاتنا ، ونتذكر قوله صلى الله عليه وسلم الذي أوصى به: « وإذا صليت فصل صلاة

---

[١٤٣] أخرجه الطبراني (٣٨٤٠) عن أبي عبد الله الأشعري ، وحسنه السيوطي والمنذري .

[١٤٤] أخرجه الطبراني في الوسط (١٨٨٠) عن أنس .

[١٤٥] تقدم تخريجه .

[١٤٦] تقدم تخريجه .

[١٤٧] سورة البقرة الآية (٤٦) .

مودِّع »[١٤٨] . وأن نستحضر عظمة الله عز وجل ، وأنه مطلع على خطرات قلوبنا ، ونقدر قيامنا بين يديه غداً ، وإنا لو قمنا بين يدي مَلِكٍ من ملوك الدنيا نقوم بمهابة له عظيمة بحيث لا نعرف من على يميننا وشمالنا من فرط المهابة مع أنه بشر مثلنا ، ولا يملك لنا ضراً ولا نفعاً ، فكيف بالوقوف بين يدي ملك الملوك الذي بيده ملكوت كل شيء ؟! حتى إذا أحسسنا في قلوبنا نوعاً من خوف وتعظيم وخضوع ، دخلنا في الصلاة مجتهدين في إحضار قلوبنا بقدر الإمكان . ـ ثم هذه الحالة ـ وهي الوقوف ساعة قبل الدخول في الصلاة لجمع الخاطر واستحضار ما ذكرناه ـ أظن أنها لا تتيسر لنا في كل صلاة لاستغراقنا في هموم الدنيا ، حتى إن أحدنا لا يعرف متى يفرغ من الصلاة ليطير إلى مهماته، فلا أقل إذا من أن نُعيِّن لأنفسنا ساعة من ليل أو نهار نتذكر فيها تفريطنا، حتى إذا استشعرنا الحياء في قلوبنا والخوف والرجاء ، قمنا إلى الصلاة قيام المجرم المسيء.

واعلم أن من أهم مايتعين رعايته في الصلاة الخشوع ، فإنه روحها ، ولهذا عده الغزالي شرطاً ، وذلك لأن الصلاة صلة بين العبد وربه ، وما كان كذلك فحقّ على العبد أن يكون خاشعاً لصولة الربوبية علىالعبودية .

وقال الله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾[١٤٩] . ومعنى كبيرة أي ثقيلة على كل واحد إلا على الخاشعين، وإنما لم تثقل على الخاشعين مع أنهم يتعبون أنفسهم إتعاباً عظيماً في الأسباب الموجبة للخشوع ـ لأنهم متى خشعوا كانوا مستغرقين في مناجاة ربهم سبحانه وتعالى، فلا يدركون ما يجري عليهم من المتاعب والمشاق ، بل تصير لهم لذة خاصة وراحة محضة .

---

[١٤٨] أخرجه الطبراني (٤٤٢٧) .

[١٤٩] سورة البقرة الآية (٤٥).

فعن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فنزل منزلاً ، فقال ﷺ : « من رجل يلكؤنا » . فانتدب رجل من المهاجرين ـ عمار بن ياسر ـ ورجل من الأنصار ـ عباد بن بشر . فقال ﷺ : « فَكُونا بفم الشعب » . فلما خرجنا إلى فم الشعب اضطجع المهاجري وقام الأنصاري يصلي، وأتى رجل مشرك فرماهَ بسهم فوضعه فيه فنزعه الأنصاري حتى رماه بثلاثة أسهم، ثم ركع ثم انتبه صاحبه ، ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدم قال : سبحان الله ألا تنبهني أول ما رمى ! فقال : كنت في سورة أقرؤها[١٥٠] فلم أحب أن أقطعها !! »[١٥١] . وما ذاك إلا لشدة ما وجد فيها من الحلاوة حتى أذهبت عنه ما يجد من الألم .

ـ ويستحب دخوله فيها بنشاط وإقبال عليها وأن يتدبر القراءة والأذكار ويرتلهما وكذلك الدعاء ، ويراقب الله تعالى فيها ، ويسمع من الفكر في غير هذا حتى يفرغ منهما ، ويستحضر ماأمكنه من الخضوع والخشوع بظاهره وباطنه .

قال الله تعالى : ﴿ قد أفلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [١٥٢].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تفسير هذه الآية قال: « الخشوع في القلب وأن تلين جانبك للمرء المسلم ، وأن لا تلتفت في صلاتك ».

وعن جماعة من السلف : الخشوع السكون فيها .

---

[١٥٠] وكان يقرأ سورة الكهف .

[١٥١] أخرجه البخاري تعليقاً (١/٢٨٠) ، وابن حبان (١٠٩٦)

[١٥٢] سورة المؤمنون الآية (١-٢) .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : خرج علينـا رسـول الله ﷺ فقال : « مالي أراكم رافعي أيديكم كأنهـا أذنـاب خيـل مشـمس ، اسـكنوا فـي الصلاة» [١٥٣] . الخيل المشمس : ذات التوثب والنفار .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :« ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ، ثم يقـوم فيصلـي ركعتيـن يقبـل عليهمـا بقلبـه ووجهه إلا وجبت له الجنة» [١٥٤].

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ في حديثـه الطويـل الذي ذكر فيه فضل الوضوء وفي آخـره قـال : « إن قـام المصلـي فحمـد اللـه وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل ، وفـرغ قلبـه للـه إلا انصـرف مـن خطيئتـه كهيئة ولدته أمه» [١٥٥].

التحذير من ترك الصلاة :

اعلم أيها المسلم كم تحل بـك المحـن ، وتمرُّ عليـك العبر وأنـت لاهٍ غافل ، وكم تهجر طاعة مولاك بترك الصلاة حتى أصبح الإسلام في طريق وأنـت في طريق. إلى متى تضيِّع الصـلاة وهـي عمـاد الديـن ، وأسـاس الإسـلام ، وسـرُّ النجاح ، وأصل الفلاح ، وعهد الله على المسلمين ، وأنت بلا اهتمام تضيعها أو تخرجها عن وقتها ! .

فهل هذا استخفاف منك في الدين أم أنت في شك من وجوبها وعقـاب مخرجها عن أوقاتها فضلاً عن تاركها بالكلية ؟!

أم حسبت أيها المسلم أن من ضيع الصلاة ـ وهي عقد ربـاط الإسـلام ـ لا يعاقب عليها ولا يلام !! إن كان هذا فاسمع ما جاءِ بشأن الصلاة في الدين من

---

[١٥٣] انفرد به مسلم (٢٩/٢) .
[١٥٤] تقدم تخريجه .
[١٥٥] أخرجه مسلم (٢٠٨/٢) ، وأبو داود (١٢٧٧) ، والترمذي (٣٥٧٩) وأحمد (١١١/٤و١١٢)، وابـن خزيمة (١١٤٧) ، وعبد بن حميد (٢٩٨) ، والنسائي (٩١/١) و(٢٧٩) .

قول الله وقول رسول الله ﷺ وقول أئمة المسلمين ، لتعلم أن تارك الصلاة قد برئت منه ذمة الله ، وذمة رسوله ﷺ ، وأنه وضيع ذليل عاش أو مات ، ثم الجحيم بعد ذلك مأواه ومنقلبه ومثواه وما يتجرأ على تضييع الصلاة وتركها أو إخراجها عن وقتها إلا من سبقت شقاوته وعظمت جريمته وطالت حسرته وخسرت صفقته . كيف لا وَقد قال الله تعالى في وجوبها وتعظيم شأنها : ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ [١٥٦] . أي مفروضاً . وقال : ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ [١٥٧] . وقال في وصف مؤخريها عن وقتها : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [١٥٨] .

وقال عطاء بن يسار : ((الويل واد في جهنم ، لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره)) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ((ويل واد : في جهنم تستغيث جهنم من حره ، وهو مسكن من يؤخر الصلاة عن وقتها)) .

وسئل الحسن البصري رضي الله عنه عن قوله تعالى : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [١٥٩] . فقال : ((هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى يخرج وقتها)).

وقال بعضهم : ((هو الذي إن صلاّها في أول الوقت لم يفرح ، وإن أخرها عن الوقت لم يحزن ، فلا يرى تعجيلها خيراً ، ولا تأخيرها إثماً ، لأن ذلك من موت القلب)) .

---

[١٥٦] سورة النساء الآية (١٠٣) .

[١٥٧] سورة البقرة الآية (٢٣٨) .

[١٥٨] سورة الماعون الآية (٤-٥) .

[١٥٩] سورة الماعون الآية (٤-٥) .

وقال وهب بن مُنبِّه رحمه الله تعالى : ((عجباً من الناس يبكون على من مات جسده ، ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد !!)) .

والناس في أمر الصلاة على طبقات : طبقة لم يقبلوها رأساً ، ومصيرهم سقر . قال الله تعالى : ﴿ ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين﴾[١٦٠] . وطبقة قبلوها ولم يؤدوها وجزاؤهم الغي ، قيل : هو الشر، وقيل : هو الخسران، وطبقة لم يهتموا بها ولم يبالوا أأدوها في وقتها أو أخروها ، كالمنهمكين في الدنيا، بحيث يخرج وقت الصلاة ولا يشعرون ويتكرر ذلك لهم فيصلون بعد خروج الوقت غير مبالين بذلك ولا نادمين كمن دأبهم سهر الليالي بحيث لا يصلون الصبح غالباً إلا بعد طلوع الشمس ، فهؤلاء وأمثالهم غير مهتمين بأمر الصلاة ، ولا مبالين بها فلهم الويل وهو شدة العذاب.

وقال الله تعالى : ﴿ يأأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون[١٦١] ﴾.

قال جماعة من المفسرين : المراد بذكر الله هنا هو الصلوات الخمس، فمن اشتغل عن الصلاة بماله كبيعه أو صنعته أوولده ، كان من الخاسرين .

قال الشافعي رضي الله عنه : « ومن المحافظة على الصلوات تقديمها في أول الوقت ، لأنه إذا أخرها فقد عرّضها للنسيان » .

ويل لك يا تارك الصلاة تعيش في الدنيا وتكدّ وتتعب لتنال رغد الحياة، وتسعى إلى مرضاة مخلوق مثلك ، والله تعالى أمرك بالصلاة وجعلها نجاة لك من النار وأنت تهملها وتكسل عنها وتتهاون بها !!.

وقال ﷺ : « من ترك صلاة العصر فقد حبطَ عمله»[١٦٢] .

---

[١٦٠] سورة المدثر الآية (٤٢-٤٣) .

[١٦١] سورة المنافقون الآية (٩) .

وفي رواية : « الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وُتِر أهله وماله»[١٦٣]

وقال ﷺ : « الصلاة عماد الدين » [١٦٤] .

وفي رواية « الصلاة عمود الدين »[١٦٥] .

وقد اتفق أئمة المسلمين على أن الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد اقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين.

وقال ﷺ : « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر[١٦٦] » .

وتجب الصلاة على كل مكلفٍ قادرٍ على القيام ، فإن عجز عن القيام بأن لحقه مشقة شديدة تذهب خشوعه قعد ، فإن عجز عن القعود صلى مضطجعاً، فإن عجز عن الاضطجاع صلى مستلقياً مع رفع رأسه بنحو وسادة ليتوجه إلى القبلة ، ويومي برأسه لركوعه وسجوده ، ويجعل سجوده أخفض من ركوعه ، فإن عجز عن ذلك أومأ بأجفانه ، فإن عجز عن ذلك أجرى أفعال الصلاة على قلبه وجوباً ، ولا تسقط الصلاة مادام عقله ثابتاً ، ولا يعذر أحد في ترك الصلاة أصلاً ، هذا مذهب إمامنا الشافعي ومالك وأحمد رضي الله عنهم ومن ادعى أن له حالة بينه وبين الله أسقطت عنه التكليف كفر .

وأما مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه : إذا تعذر على المريض القيام صلى قاعداً فإن لم يستطع أومأ برأسه وجعل السجود أخفض من الركوع ، فإن لم يستطع القعود استلقى على ظهره وجعل رجليه إلى القبلة وأومأ بالركوع

---

[١٦٢] تقدم تخريجه ص (١٨) .

[١٦٣] أخرجه مسلم (١١١/٢) ، والنسائي (٢٥٤/١) ، وابن ماجة (٦٨٥) ، وابن خزيمة (٣٣٥) ، والدارمي (٨/٢ - ١٣٤ ، ١٤٥) .

[١٦٤] أخرجه الترمذي (١٨٨) ، والحاكم (٢٧٥/١) عن ابن عباس والبيهقي (١٦٩/٣) عن عمر

[١٦٥] أخرجه ابن حجر في تلخيص الحبير (٢٤٢) ، والبيهقي (٢٨٠٧) ، والمناوي في فيض القدير(١٥٨٥).

[١٦٦] أخرجه المناوي في فيض القدير (٥١٨٦٠) .

والسجود ، وإذا استلقى على جنبه الأيمن أو الأيسر ووجهه إلى القبلة وأومأ برأسه جاز ، فإن لم يستطع الإيماء برأسه أخّر الصلاة ، ولا يومئ بعينيه ولا بقلبه ولا بحاجبيه .

وأما تارك الصلاه عامداً متعمداً فقد قال الله مخبراً عن أصحاب الجحيم: ﴿ ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين﴾ [١٦٧] .

وهذا السؤال لتوبيخ أهل الجحيم ،أي ما أدخلكم في جهنم ، قالوا لم نك من المصلين لله في دار الدنيا .

وقال ﷺ : « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » .

وقال ﷺ :« لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طُهر له ، ولا دين لمن صلاة له ، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد» [١٦٨] .

وقال ﷺ : « من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهاراً» [١٦٩] .

ولا يكفي الرجل أن يصلي هو ويترك أهله بغير صلاة ، بل يجب عليه أن يأمر زوجته وأولاده وأبويه وجميع عشيرته بالصلاة في أوقاتها ، بالموعظة واللين، أو بالشدة والمفارقة ، لوجوب الأمر بقوله تعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة﴾ [١٧٠] .

---

[١٦٧] سورة المدثر (٤٢-٤٣) .

[١٦٨] أخرجه مسلم (٦٢/١) ، وأبو داود (٤٦٧٨٧) ، والترمذي (٢٦٢٠) ، وأحمد (٣٨٩/٣) ، والنسائي (٢٣٢/١) هامش ، وابن ماجة (١٠٨٧) ، والدارمي (١٢٣٦) ، وعبد بن حميد (١٠٤٣) .

[١٦٩] أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٣١٣) ، وفي الصغير (١٦٢) عن ابن عمر وحسّنة المنذري .

[١٧٠] سورة طه الآية (١٣٢) .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾[١٧١] .

فهل بعد هذا أيها المسلم يصح انتسابك للإسلام مع تركك الصلاة فضلاً عن أنك تضيع الصيام والحج ولا تؤتي الزكاة ، ولا نصيب لك من الأعمال الصالحة ؟!!! فماذا بقي لك مِن الحظ في الإسلام ؟ وأين أنت من حقيقة المسلمين؟!! فتنبه أيها المسلم من غفلتك وأكثر من الأسف على ما ضيعت من عمرك النفيس ، واتبع سبيل من أناب إلى مولاه غفر الله لي ولك وأفوض أمري إلى الله .

وقال بعض الصالحين : « لا يترك أحدكم الصلاة ويمرّ على الهوام الضعيفة إلا وتود أن الله تعالى يعطيها قوة لتبطش به غيرة على جناب الحق تعالى ، ولا يمر على الطيور والوحوش إلا ويستعيذون بالله تعالى من رؤيته، ولا يرد الماء إلا ويود أنه لا يشربّه ، ولا يمر في الهواء إلا ويود أن لايكون مرّ به ».

فيا أيها التارك للصلاة أو المؤخر لها ، يجب عليك أن ترجع وتتوب إلى الله وكلما أخرت التوبة تضاعفت الذنوب عليك بالتأخير ، فبادر إلى التوبة قبل فواتها ، فإن الله يقبل التوبة من أي ذنب كما قال الله تعالى ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، ويعلم ما تفعلوا ﴾[١٧٢] .

فإياك ثم إياك وترك الصلاة أو ترك شيء منها ، فإن فعلت ذلك فقد هلكت مع الهالكين ، وخسرت الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

حكي عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه مرّ على قرية كثيرة الأشجار والأنهار فأكرمه أهلها ، فتعجب من حسن طاعتهم ، ثم مرّ عليها بعد ثلاث سنين فرأى الأشجار يابسة ، والأنهار ناشفة ، وهي خاوية على عروشها ،

---

[١٧١] سورة التحريم الآية (٦) . .

[١٧٢] سورة الشورى الآية (٢٥) .

فتعجب من ذلك فأوحى الله إليه : قد مرّ على القرية رجلٌ تارك للصلاة فغسل وجهه في عينها فنشفت الأنهار ، ويبست الأشجار فخربت القرية ، ياعيسى لما كان ترك الصلاة سبباً لهدم الدين كان سبباً لخراب الدنيا .

وذكر ابن حجر في كتابه الزواجر أنه أول ما يسوّد يوم القيامة وجوه تاركي الصلاة ، وإن في جهنم وادياً يقال له « لملم » فيه حيّات كل حيّة بثخن رقبة البعير ، طولها مسيرة شهر ، تلسع تارك الصلاة ، فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : ((إذا كان يوم القيامة يؤتى برجل فيوقف بين يدي الله عز وجل ، فيأمر الله به إلى النار ، فيقول يارب بماذا ؟ فيقول الله تعالى : بتأخيرك الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذباً)) .

وورد عن بعض السلف أنه دفن أختاً له ماتت ، فسقط منه كيس فيه مال في قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ، ثم تذكرّه فرجع إلى قبرها فنبشه بعدما انصرف الناس ، فوجد القبر يشتعل عليها ناراً ، فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكياً حزيناً . فقال يا أماه أخبريني عن أختي ، وما كانت تعمل ؟! قالت : وما سؤالك عنها ؟! قال : يا أماه رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً !! فبكت وقالت : يا ولدي كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها .

فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها ، فكيف حال من لا يصلي ؟!!

فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها بكمالاتها في أوقاتها إنه جواد كريم .

وقال عطاء الخراساني : ((ما من عبد يسجد لله سجدة على بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة ، وبكت عليه يوم يموت)) .

وقال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى في كتابه العهود : ((أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نبين لتارك الصلاة ما جاء في فضل الصلوات الخمس ، وفضل من واظب عليهن . وقد أغفل ذلك غالب الفقراء وطلبة العلم ، فترى أحدهم يخالط تارك الصلاة من ولد وزوجة وخادم وصاحب وغيرهم ، ويأكل معهم ، ويضحك معهم ، ويستعملهم عنده في العمارة والتجارة وغير ذلك، ولا يبين لهم قط في ترك الصلاة من الإثم ، ولا في فعلها من الأجر ، وذلك مما يهدم الدين ، فبيّن يا أخي لكل جاهل ما أخلّ به من واجبات دينه ، وإلا فأنت أول من تسعر بهم النار)) .

واعلم يا أخي أن البلاء يرتفع عن كل مكان كان أهله يصلون ، كما أن البلاء ينزل على كل مكان يترك أهله الصلاة .

وإخراج الصلاة عن وقتها الضروري بلا عذر من أكبر الكبائر المهلكة .

قال ابن حزم : ((ما رأيت في الشرع ذنباً بعد الشرك بالله أعظم من ترك الصلاة حتى يخرج وقتها ،وقتل مؤمن بغير حق)) .

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عماله : ((إن أهم أموركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها كان لما سواها أحفظ ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع)) .

وقال بعض العلماء : ((إن ترك الصلاة حدث بعد القرون الثلاثة)) .

تنبيه لتارك الصلاة :

يجب أن يبادر بقضاء ما فاته بغير عذر تغليظاً عليه فيلزمه أن يصرف جميع زمنه للقضاء ، عدا ما يحتاج لصرفه فيما لا بد منه كأكل ونوم وتحصيل مؤنة له ولمن يلزمه مؤنته . ولا يجوز له التنفل حينئذ حتى يفرغ من القضاء أي

يأثم إذا صلى نفلاً ، سواءً كان من الرواتب أو من غيرها مع صحة النفل على المعتمد ، ولو كان حنفياً بل يقلد الإمام الشافعي ويترك جميع السُنن والرواتب وغيرها ويشتغل بالقضاء ولو بعد صلاة الصبح أو العصر ، لأن كثيراً من العلماء قالوا : العامي ليس له مذهب ولأن كل سبعين ركعة من النفل تعادل ركعة من القضاء .

- **قال الإمام الغزالي رضي الله عنه** : ((مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال ، وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة)) .

وروي عن بعض أهل العلم وكان ممن ينتفع الناس به في دنياهم وآخرتهم أنه ضاع لبعض التجار صرة دراهم لا يدري أين وضعها ، فحزن لذلك فقيل له ليس لك إلا ذلك العالم ، فلما جاءه وأخبره بحاله ، فأمره ذلك العالم بأن يصلي ركعتين لا يحدث فيهما نفسه بشيء ويأتيه فيخبره بماله أين هو! فقام ذلك التاجر إلى ناحية المسجد وأحرم في تلك الركعتين ، فرآه الشيخ في الركعة الثانية قد خففها ، فقال لإخوانه : قد تذكر ماله أين هو ! فلما سلم وأتى الشيخ قال له الشيخ : أتذكرت مالك أين هو ؟ قال له : نعم يا سيدي !! فقال : اذهب فخذ مالك واشكر الله ، فتعجب منه أصحابه لماأمره بتلك الصلاة . فقال لهم : إن الشيطان أنساه أين رفع ماله لكي يحزنه ولو وقتًا ، من أجل العداوة الأصلية، فأمرته بالركعتين ، ولا يحدث فيهما نفسه ، فلما تلبس بالصلاة عازماً أن لا يحدث فيها نفسه رأى العدو أن يذكره بماله ولا يتركه يتم عملاً يدخل به الجنة، فمن أجل ذلك أمرته بتلك الصلاة !!

وقال أبو طالب المكي رحمه الله تعالى: (حُدّثنا أن المؤمن إذا توضأ تباعدت عنه الشياطين في أقطار الأرضين خوفاً منه ، لأنه تأهب للدخول عل الملك، فإذا كبّر حجب عنه إبليس ، وضرب بينه وبينه بسرادق لا ينظر إليه ،

وواجهه الجبار بوجهه ، فإذا قال : الله أكبر ، اطلع الملك في قلبه ، فإذا ليس في قلبه أكبر من الله يقول الملك : صدقت ، الله أكبر في قلبك كما تقول، فيتشعشع في قلبه نور يلحق ملكوت العرش فينكشف له بذلك ملكوت السموات والأرض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات ، قال: وإن الغافل الجاهل إذا قام إلى الوضوء احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل ، فإذا كبر اطلع الملك في قلبه فإذا كل شيء أكبر من الله عنده فيقول الملك : كذبت ليس الله في قلبك كما تقول ، فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء ، فيكون حجاباً لقلبه عن الملكوت ، قال فيُرَدُّ ذلك الحجاب صلاته ، وتلتقم الشياطين قلبه ، ولا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس وتزين له حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما فعل » .

وقال الله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾[١٧٣] .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ((ليس معنى أضاعوها : بالكلية ، ولكن أخروها عن أوقاتها)) .

وقال سعيد بن المسيِّب : ((هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا يصلي الفجر إلى طلوع الشمس ، فمن مات وهو على هذه الحالة ولم يتب أوعده الله بغي ، وهو واد في جهنم يسيل إليه الصديد والقيح)) .

وفي حديث الإسراء ثم أتى النبي ﷺ على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخرة كلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم في ذلك شيء . قال : يا

---

[١٧٣] سورة مريم الآية (٥٩) .

جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة .[174]

وعن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سألت النبي ﷺ عن قول الله عز وجل : ﴿ الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [175] . قال : « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها» [176] .

وقال مصعب بن سعد : « قلت لأبي : يا أبتاه ! أرأيت قوله تعالى : ﴿ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ أينا لا يسهو ؟! أينا لا يحدث نفسه ؟! قال : ليس ذلك إنما هو إضاعة الوقت » .

وقال ابن جرير : « يؤخرونها عن وقتها ، فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها » والويل هو شدة العذاب . وقيل : وادٍ في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره ، فهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله تعالى ،ويندم على ما فرط .

قال النبي ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم ـ وذكر منهم ـ من أتى الصلاة دباراً »[177] أي بعد فوات وقتها .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لما ذهب بصري قيل : نداويك وتدع الصلاة أياماً ، قال : لا ، إن رسول الله ﷺ قال : « من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان »[178]

---

[174] دلائل النبوة للبيهقي (٣٩٨/٢) والطبري (٧/١٥) وأورده الهيثمي في المجمع (٦٧/١)

[175] سورة الماعون الآية (٥).

[176] أخرجه الطبري في تفسيره (٣٨٠٥٤) .

[177] أخرجه أبو داود (٥٩٣) ، وابن ماجه ـ ٩٧٠) .

[178] أخرجه الطبراني في الكبير (١١٧٨٢) والبزار (٣٤٣) عن ابن عباس .

وقال صلى الله عليه وسلم : « عُرَى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام ، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان »[179] .

وعن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة فقال : « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومنَ لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيٍّ بن خلف »[180]

قال بعض العلماء : ((وإنما حشر مع هؤلاء ، لأنه إن اشتغل عن الصلاة بماله أشبه قارون فيحشر معه ، أو بملكه أشبه فرعون فيحشر معه ، أو بوزارته أشبه هامان فيحشر معه ، أو بتجارته أشبه أبيٍّ بن خلف تاجر مكة فيحشر معه)) .

---

[179] أخرجه أبو يعلى (٢٣٤٩) عن ابن عباس .

[180] أخرجه احمد (١٦٩/٢) ، والدارمي (٢٧٢٤) ، وصححه ابن حبان (١٤٦٧) ، وعبد بن حميد (٣٥٣) ، والطبراني في الأوسط (١٧٨٨) عن عبد الله بن عمرو وحسنه المنذري ، وأورده الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٩٢/١) وصححه ، والطحاوي في مشكل الآثار (٢٢٩/٤) .

الخاتمة

أيها المسلم ، أيتها المسلمة ، اعلما أن الله لم يوجدكما في هذه الدار هملاً ولم يخلقكما سدىً ، ولا أنشأكما عبثاً ، بل أوجدكما في الدنيا لأمر عظيم، أوجدكما لمعرفته وعبادته ، فقال جل من قائل منبهاً وناصحاً لعباده : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾[١٨١] ـ ومعناه : أنتم قوموا بما أمرتكم به من أداء التكاليف التي كلفتكم بها على لسان رسولي وحبيبي محمد عليه الصلاة والسلام ، وأنا أتكفل بإيصال رزقكم إليكم هنيئاً ميسراً .

فيا أيها الساهي عن أداء واجبات خالقه تنبّه عن غفلتك ، وأفق من سكرتك ، واعلم بأن الموت قريب ، وأنك ستقف بين يدي مولاك للسؤال والحساب . قال الله خالقنا العظيم : ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾[١٨٢] وقال جل وعلا : ﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية ، وما أدراك ماهيه ، نار حامية ﴾[١٨٣] أي يلقى في النار على أم رأسه، وبما تثقل الموازين ؟ هل يجد العبد إلا ما قدم من عمل صالح بعد أحكام أمر التوحيد الذي ليس فيه لبس من شك أو شرك أو ظلم ، وأفضل العمل الصالح أداء الفرائض واجتناب ما حرم الله فيا أيها المسكين ، كيف تصبر على نار وقودها الناس والحجارة ، وعلى مقاساة العذاب مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف ، ونفسك لا تقدر على حر نار الدنيا ، ولا على حر الظهيرة ؟! ويمكن أن يكون في قوله ﷺ مع قارون وفرعون و هامان خلودنا ، ويزيد حرها

---

[١٨١] سورة الذاريات الآية : (٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨) .

[١٨٢] سورة الصافات الآية (٢٤) .

[١٨٣] سورة القارعة الآية (٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١) .

على نار الدنيا بتسعة وستين جزءً ، عليها ملائكة غلاظ شداد بـأيديهم مقـامع لـو ضربت بها جبال الدنيا لتكسرت ، يصب علـى رؤوسـهم الحميـم ، ولـو وقعـت قطرة منه على جبال الدنيا لذابت ، ياعاصي أنـت عـدو نفسـك أم محـب لهـا ؟! أمؤمن أنت أم كافر؟! كيـف احترأت على تـرك الصـلاة ؟! فـانظر إلـى نفسـك وحاسبها قبل أن تحاسب وتندَم ،ولا ينفعك الندم . ا.هـ

والحمد لله رب العالمين



فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريفة



فهرس المراجع

- القرآن الكريم .

- صحيح البخاري ، مطبعة بولاق بمصر (١٣١٤) هـ .

- صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دارالفكر بيروت .

- صحيح مسلم بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي .

- صحيح ابن خزيمة ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ـ المكتب الاسلامي.

- سنن أبي داود تعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

- سنن النسائي الطبعة الثالثة (١٤٠٩) هـ دار البشائر الاسلامية .

- سنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

- سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

- موطأ الامام مالك بن أنس رضي الله عنه . صححه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، داراحياء الكتب العربية .

- مسند الإمام أحمد الطبعة الثانية (١٣٩٨) هـ المكتب الاسلامي ـ بيروت.

- مسند أبي يعلى الموصلي تحقيق حسين سليم أسد الطبعة الأولى (١٤٠٨) هـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

- سنن الدارمي دار الكتب العلمية - بيروت .

- سنن الدار قطني للامام الكبير علي بن عمر الدار قطني - دار المحاسن للطباعة القاهرة (١٣٨٦) هـ .

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب أرنؤوط الطبعة الأولى .

- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري - دار المعرفة - بيروت .

- السنن الكبرى للبيهقي - دار الفكر .

- رياض الصالحين تأليف الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي حققه وخرج أحاديثه عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق ـ راجعه الشيخ شعيب الأرنؤوط - دار المأمون للتراث .

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف - تأليف الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ـ ضبط أحاديثه وعلق عليه مصطفى محمد عمارة - دار الجيل - بيروت .

- الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ـ تأليف الدكتور مصطفى الخن ومصطفى البغا وعلي الشربجي دار القلم ـ دار الإمام البخاري (١٣٩٩) هـ .

- المجموع شرح المهذب للإمام النووي - المكتبة السلفية - المدينة المنورة.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مؤسسة مناهل الوفاق - مكتبة الغزالي - .

- النهاية في غريب الحديث والأثر - للإمام مجدد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي - المكتبة الإسلامية .

- مختصر منهاج القاصدين للإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي - علق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط - دار الهجرة (١٤٠٩) هـ .

- مفتاح النجاة في فضل الخشوع في الصلاة - تأليف الشيخ رشيد الراشد طبعة (١٣٩٨) هـ الطبعة الثالثة طبع المطبعة العربية (حلب) .

- تحذير المسلمين من تأخير الصلاة عن وقتها وتحريم تركها . تأليف الشيخ رشيد الراشد - طبعة طارق بن زياد .

- المنن والأخلاق للعالم العلامة (عبد الوهاب الشعراني) ، دار الحكمة دمشق بيروت .

- الزواجر عن اقتراف الكبائر تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيثمي .

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد للشيخ أبي طالب المكي .

- المعجم الكبير للطبراني تحقيق حمدي عبد المجيد .

- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - دار المعرفة - بيروت .

- صحيح صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تنظر إليها تأليف حسن بن علي السقا - دار الإمام النووي - الطبعة الأولى (١٤١٣)هـ .

- شعب الإيمان للبيهقي ، الطبعة الأولى (١٤١٠) هـ دار الكتب العلمية - بيروت -.

- فيض القدير للمناوي محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي ، دار الحديث القاهرة.

- إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة - دار الفكر - .

- موعظة المؤمنين للقاسمي ، الطبعة الثالثة (١٤٠٤)هـ ، دار النفائس تحقيق عاصم بهجة البيطار .

- مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ـ مكتبة لبنان .

- القاموس المحيط للفيروز آبادي الطبعة الأولى (١٤٠٦)هـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت - .

- الأوسط للحافظ المنذري .

الفهرس

